المشروع الوطني
الكتاب الثالث

السلام
في مدرسة الإسلام

تأليف
سماحة المرجع الديني آية الله الفقيه
السيد حسين السيد إسماعيل الصدر دام ظله

المشروع الوطني

الكتاب الثالث

السَّلاَمُ

فِي مَدْرَسَةِ الإِسْلاَمِ

تأليف

سماحة آيةُ الله الفَقيْه

السَّيِّد حُسين السَّيِّد إسْماعِيل الصَّدْر

-دام ظله-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين
والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمد
وعلى آله الطيبين الطاهرين
وأصحابه المنتجبين

مُقدِّمة

لقد مرَّ العراقُ بفتراتٍ تأريخيةٍ غاية في القسوة والصعوبة، خصوصاً في مجال التسلُّط السياسي والقَهْر الاقتصادي والتجهيل الثقافي، في هذه الظروف المُعقَّدة، والتي استمرَّ مجموع فتراتها، زُهاء نصف قرن من الزمن. هذه الحِقبة التأريخية القاسية عاشها سماحة المَرجِع الصَّدْر (دَامَ ظِلُّهُ)، بكلِّ تفاصيلها المؤلمة.

والفترة الأكثر قساوة التي عاشها المَرجِع الصَّدر (دَامَتْ بَرَكَاتُه)، عندما تعرَّض أُستاذُهُ وعَمُّهُ، آية الله العُظمى الشهيد السَّيِّد مُحمَّد باقِر الصَّدْر (قُدِّسَ سِرُّهُ)، للاعتقال والاضطهاد ومن ثم الإعدام، من قِبَل النِّظام السابق.

كلُّ هذه الإرهاصات الصعبة التي عاشها سماحة المَرجِع الصَّدْر (دَامَ ظِلُّهُ)، بكلِّ تفاصيلها المأساوية، جعلت سماحته يحرص كلَّ الحِرص، على إبعاد المجتمع العراقي، عن أجواء الأزمات المُعقَّدة، والفترات التأريخية العصيبة، التي يسعى أعداء العراق إلى جَرِّ الشعب العراقي إليها.

لذا وَجَّه سماحة المَرجِع الصَّدْر (دَامَ عِزُّهُ)، كلَّ طاقاته الفكرية والعلمية، باتِّجاه تأسيس مدرسة فكرية ثقافية، تتبنَّى إشاعة مفاهيم السلام والتسامح الديني والقومي، بين جميع طبقات وأطياف الشعب العراقي، وفْق منظور حضاريٍ، يعتمد اعتماداً مباشراً على

تأريخ العراق الزاهر، المعروف بالتآخي، وتعضيد مبادئ السلم المجتمعي، بين كافَّة مُكوِّناته ونسيجه الاجتماعي المُتنوِّع دينياً وقومياً ومذهبياً.

هذا الجهد الفكري والثقافي، تَمَخَّض عن إصدار سلسلةٍ من الكُتُب الداعية للسلام، والسلم المجتمعي، وكان في باكورتها كتاب (السلام مفاهيم وقِيَم)، وتبعه الكتاب الثاني الذي حمل عنوان (السلام من منظور تطبيقي)، أمَّا الكتاب الثالث، وهو الذي بين أياديكم، والذي يحمل عنوان (السلام في مدرسة الإسلام)، نسأل الله تَعَالَى قبول الأعمال، وَاللهُ تَعَالَى من وراءِ القَصْد.

الفصل الأَوَّل

ويتكوَّن من خمسة مباحث

المَبحث الأول:

احتياج السلام.. إلى الهدى

المَبحث الثاني:

طريق السلام.. يُضيئه هدى الله

المَبحث الثالث:

مبحثٌ تفسيريٌ

المَبحث الرابع:

بعقائد مختلفةٍ.. ويُظِلُّنا السلام

المَبحث الخامس:

مجتمعات.. السلام

الفصل الأَوَّل

المبحث الأول

احتياج السلام.. إلى الهدى

احتياج السلام.. إلى الهدى

كانت المرحلة الأولى لثقافة السِّلْم والسلام هي: عن طريق الدعوة إليه، والحثِّ والتشجيع.

وكانت المرحلة الثانية هي: الأمر، وعمومية الأمر، ولهذا مع الأمر بالدخول إلى ثقافة السِّلْم والسلام، أراد اللهﷻ أن تكون ثقافة السلام، ثقافة عامَّة.. ولهذا أكَّدت الآية الكريمة التي تقول:-

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1]

فكلمة (**كَآفَّةً**): أي أنَّ السلام لابدَّ أن يكون ثقافة عامَّة لكلِّ البشر المؤمن بالله، والإيمان مسألة فطرية.

الأنا والشيطان.. يُهوِّلان السلام

نتيجة ذلك، بعد الإرادة الإلهية من أجل أن يكون السِّلْم والسلام مفردة اجتماعية تشمل المجتمعات بأجمعها، مفردة إنسانية تشمل كلِّ أفراد بني البشر، نرى أنَّ التربية الإلهية والنصوص القرآنية ملتفتة إلى مسألة يمكن أن يعيشها الفرد ويعيشها المجتمع، وهي: مسألة نُسمِّيها بـ(التداخلات النفسية).

---

[1] سورة البقرة/آية/٢٠٨.

دائماً الإنسان إذا كان بعيداً عن الأجواء الروحية السليمة، بعيداً عن المعايشة مع الله ﷻ، بعيداً عن فطرته، يمكن أن يرى الصعوبة في ثقافة السلام، وتصييرها بشكلها العملي، لأنَّ هناك الكثير من النزغات الشرَّانية والشيطانية والتي تُنتج الأَنَوية والذاتية والمصلحية، تُبعده عن هذا المبدأ السمائي الإلهي الإيماني الإسلامي.. فضمن هذا المجال، وضمن هذه الأجواء، الله ﷻ يقول للإنسان: لا تعتقد (أيُّها الإنسان) إن أردتَ السلام، ستبقى وحدك، لا تتصور أنَّك إن أردت السلام ستكون من دون إسناد، من دون تقوية، فهنا تكون أمامنا حالتان:

الحالة الأولى: أنَّ هناك مفردات حياتية تُبعِده عن ثقافة السلام.

الحالة الثانية: أنَّ هناك هيبة للدخول في السلام ضمن مجتمعات عاشت على ثقافة الصراع والصراعات، ثقافة الأَنَوية أو الذاتية سواءاً كانت الفردية أو الجماعية.

لهذا يمكن أن يرى تهيُّباً من حمل رسالة السلام، والدخول العملي إلى مفردة السِّلْم والسلام..

كلُّ ذلك، والحال أنَّ مفردة السلام هي مسألة فطرية، يعني: لم يكن هناك إنسان لا يحبُّ الأمن لنفسه، والسلامة من الأضرار، وهذا لا يتحقَّق إلاَّ أن يكون هناك سلام ما بينه وبين الآخر، إذن هي مسألة فطرية.

لكن نقول: إنَّ بعض بني البشر نظراً لبيئته واستعداداته النفسية، يبتعد عن هذه المسألة الفطرية، لم يستجِبْ إلى هذه المسألة الفطرية، لم يُفعِّل هذه المسألة الفطرية، لم يعمل من أجل صقلها وبرمجتها وتفعيلها في حياته وفي تصرفاته بشكل عام.

السلام.. ما بين الاقتناع والهداية

نرى أنَّ المنهج القرآني الذي يُبيِّن لنا الألطاف الإلهية المسبوغة على الإنسان والإمدادات الإلهية للإنسان، يُؤكِّد: أنَّك أيُّها الإنسان إن استجبت إلى فِطرتك التي خَلَقها الله ﷻ ضمن تكوينك وأردتَ السلام، اقتنعت بالسلام، ثمَّ أردته، ثمَّ تريد أن تُصيِّره لك منهجاً، في هذه الحالة كأنَّنا ارتفعنا إلى مستوى الدعوة إلى السلام، ثمَّ انتقلنا إلى مرحلة الأمر بالسلام، هنا سنرتفع من الأمر إلى الهداية للسلام.

من معاني الهداية: القيادة إلى السلام، إيصال الإنسان إلى السلام، ولكن هذه الهداية وهذا الإيصال لا يمكن أن يكون إن لم يكن الإنسان هو متبنِّياً لثقافة السلام ومُقتنعاً بها، عند ذلك تأتي القيادة الإلهية له، يأتي التسهيل الربَّاني، تأتي القوة الغيبية، التي إمَّا أن تزيلَ من أمامه العقبات، وإمَّا أن تجعله أقوى من العقبات، فذلك من مفهوم كلمة (الهداية) وكلمة (يهدي).

من هذه النصوص الإلهية التي تُقرِّب لنا التسديد الإلهي

والإمداد الإلهي لِمَن اتَّخذ اسْم السلام، الاسْم الإلهي والخُلُق الإلهي والتربية الإلهية، وأراد أن يُفعِّلها في حياته، فكيف أنَّ اللهﷻ يهديه إلى الدخول في السلام، واستثمار فطرة السلام، والقدرة على تفعيلها، فيقول في سورة المائدة مخاطباً أهل الكتاب، ومن خلالهم يخاطب البشرية جميعاً:-

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]

في كلِّ الفترات الزمنية هناك قِيَم غير واضحة، هناك قِيَم مُنْدَرِسة، هناك قِيَم مغفول عنها، نتيجة أمور، من هذه الأمور:

الأمر الأول: ما يمكن أن نُسمِّيَهم بعلماء البلاط، وما يمكن أن نُسمِّيهم بوعَّاظ السلاطين، وما يمكن أن نُسمِّيَ بعضهم بالدين المُسيَّس، هؤلاء الأشخاص يحاولون إخفاء الأمور التي تتعارَض مع مصالحهم.

الأمر الثاني: نتيجة حكام لا يحملون القِيَم الإلهية، ولذلك يحاولون أن يُخفُوا الكثير من الأفكار والتربية الإلهية عن المجتمعات، خدمةً لأغراضهم ومصالحهم السياسية.

---

[1] سورة المائدة/آية/(١٥-١٦).

الأمر الثالث: كان نتيجة ذلك: إنَّ بعض المجتمعات تغيَّرت بِقِيَمِها، وعندما يتغيَّر المجتمع بِقِيَمه، يُؤثِّر على الفرد، لأنَّ بيئته ستكون بيئة سلبية مُجَرْثَمة موبوءة.. ولهذا فهناك مَن يُخفي بعض التربية الإلهية، وبعض الثقافة الإلهية، وبعض المبادئ الإلهية الإنسانية. إمَّا أن يخفوها، وإمَّا أن يعطوها صورة أخرى وتفسير آخر، متصوِّرين بذلك، أنَّهم يُحقِّقون مصالحهم وطموحات حياتهم الدنيوية وأهدافهم الشخصية، وما شاكل وشابه ذلك.

عدل، ومساواة.. يعني: سلام

اللهﷻ يخاطب كلَّ الذين آمنوا من أهل الكتاب:-

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [١]

فإمَّا أن يكونوا هم الذين أخفوه، وإمَّا أن يكون أُخْفِيَ عنهم.

﴿مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾

دائماً الكتاب السماوي يُمثِّل منهج التربية الإلهية، وضمن كلِّ الرسالات السماوية، بمقدار ما تلتفت المجتمعات بكلِّ أفرادها والأمم بكلِّ شعوبها إلى التربية الإلهية، فإنَّها تقترب إلى مفهوم الإنسانية وتقترب إلى مفردة السلام.

بعبارة أخرى: كلما تتوضَّح لدينا الرسالات الإلهية، نعيش

---

[١] سورة المائدة/آية/١٥.

درجة من درجات المساواة، والعدل، والعدالة، وإذا كانت هناك مساواة وعدل وعدالة، سنكون دائماً قريبين من مبدأ السِّلْم والسلام، ونتمكَّن أن نُثقِّف أنفسنا بالسلام، ونُثقِّف الآخرين عليه.

لأنَّ العدل والمساواة تعني: الحدّ الأدنى من حقوق الإنسان، وبعد ذلك يأتي في حقوق الإنسان، بعد العدل: الإحسان، ولهذا يقول (سبحانه وتعالى):-

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١]

الدرجة الدنيا: هي العدل، هذه التي لم تتحقَّق في شعوبنا، وفي مجتمعاتنا، ولكن التربية الإلهية تريد:

أولاً: العدل، فهو أدنى درجات حقوق الإنسان، بمعنى أنَّه أدنى صور السِّلْم والسلام.

ثانياً: بعد ذلك الدرجة الأعلى التي هي: الإحسان، وبها نُحقِّق المستوى الأرفع للسِّلْم والسلام.. فالعدل دائماً يعني: كرامة الإنسان التي وهبها الله ﷻ له، وكرَّمه بها، عندما قال:-

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[٢]

العدل يعني: أنَّ حياة كلِّ إنسان كحياة أخيه الإنسان، وهذا أيضاً ضمن التربية الإلهية، حيث يقول (سبحانه وتعالى):-

﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا

---

[١] سورة النحل/آية/٩٠.

[٢] سورة الإسراء/آية/٧٠.

فَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[١]

قَتْل إنسان هو قَتْل كلِّ الناس وكلِّ البشرية، فهم سواسية في أهمية حياة الفرد للمجموعة، وفي سلبية وحرمة وبشاعة قتل الفرد في المجموعة، حيث يقول:-

﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾

إذن العدل هو الحدُّ الأدنى المطلوب، لأنَّ هذا الحدَّ الأدنى، إن خرجنا منه ندخل في الظُلمة، وبعد ذلك تأتي مفردة الإحسان، والتي يُعبِّر عنها القرآن الكريم في آيات كثيرة، والتي منها:-

﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢]

فالكتاب الإلهي دائماً يُبيِّن الخطوط الأساسية والعريضة لبناء الإنسان فرداً ومجتمعاً، شعباً وأُمَّة.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾

مسألة الإخفاء للتربية الإلهية، لمفردات هذه التربية الإلهية، تكون على شكلين:

الشكل الأول: متعمِّد، لمصالحه، وما نُسمِّيه في زمننا، لديه

---

[١] سورة المائدة/آية/٣٢.

[٢] سورة التغابن/آية/١٤.

(أَجِندة) يعمل من أجل تحقيقها، ويأخذ بالقاعدة التي تقول: (إنَّ الغاية تُبرِّر الوسيلة).

الشكل الثاني: الذي هو نتيجة قصور وليس تقصيراً.

لأنَّ مفردة الفهم للمدرسة الإلهية لها علاقة بمسألة العلم والتعلُّم، فعندما يكون الإنسان ضعيفاً في تعلُّمه وعلمه، سيكون إدراكه لبعض الأمور يختلف، فهمه لبعض الأمور يختلف. ولهذا اللهﷻ باعتبار أنَّه يحبُّ مَن خَلَقَ، نراه يقول:-

﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[1]

فاللهﷻ بكلِّ الصور يريد أن يُوصِل الإنسان، الفرد والمجتمع إلى مبدأ السِّلْم والسلام، وأن يكون ثقافة لهم، ولهذا نترك الماضي ونبدأ من جديد، وكأنَّه يقول للإنسان: ويعفو عن كثير ممَّا سلف من الماضي.

---

[1] سورة المائدة/آية/١٥.

الفصل الأَوَّل

المبحث الثاني

طريق السلام.. يُضيئُه هُدى الله

طريق السلام.. يُضيئُه هُدى الله

البيان للتربية الإلهية، للمنهج الإيماني الإنساني، بما فيه مفردات العدل، والمساواة، التي هي من أهمِّ أُسس السِّلْم والسلام، تلك أمور من الله ﷻ ضمن تربية الله ﷻ للإنسان الفرد والمجتمع، ولهذا يُعبِّر عنها القرآن الكريم عندما يقول:-

﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[1]

مفردات التربية الإلهية هي نور، فبالتأكيد من أهمِّ هذه المفردات هي: مسألة العدل، والمساواة، ومسألة السلام، ومن مفردات النور التي لا يمكن أن يتحقَّق العدل والمساواة والسلام إلاَّ بها ومنها: التعلُّم والعلم.. ولهذا يُعبِّر عنه القرآن الكريم:-

﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾

لأنَّ الإنسان عندما يعيش الجهل، يعيش الضلال، عندما يعيش عدم العدل والمساواة، يعيش حياة الغابة، أمَّا إذا عاش هذه المفردات فإنَّه سيعيش في نور، وكلُّ هذا النور لا يمكن أن يتمَّ إلاَّ بالعلم.

(**وَكِتَابٌ مُّبِينٌ**) الكتب تعني: الرسالات السماوية، وآخرها وأشرفها: القرآن الكريم، (**مُّبِينٌ**) بمعنى أنَّه يُبيِّن للإنسان، ويُبيِّن

---

[1] سورة المائدة/آية/١٥.

للبشرية جميعاً ما يعطيهم السعادة والاطمئنان والراحة سواءاً كانت في الداخل أو في الخارج، ونقصد من الداخل يعني: النفس، والمشاعر، والفكر، والعقل.

أو في الخارج: في حياته الخارجية، وعلاقته مع كلِّ الموجودات وعلى رأسها الإنسان.

فإذا التفت الإنسان إلى هذا النور الذي يُبيِّن له حقوق الإنسان، عند ذلك يهديه الله ﷻ، ولهذا نرى أنَّ الآية قالت:-

﴿يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١]

يعني: الله ﷻ سيقودنا بعد أن التفتنا وأردنا العدل والمساواة وحَمْل رسالة السلام، فسيأخذ بأيدينا، وفي هذا المجال نذكر الحديث القدسي والذي كثيراً ما نستشهد به:-

﴿إِنَّ مَنْ تَقَرَّبْ إِليَّ شِبْراً أَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ ذِرَاعَاً﴾[٢]

هذا الحديث القدسي يُوضِّح: بمقدار إقبال الإنسان على الله ﷻ (والذي يعني: إقباله على المنهج الإلهي، التربية الإلهية، فلا فَصْل ما بين الله ﷻ ومنهجه) فبمقدار الإقبال على الله ﷻ، سيأخذ الله ﷻ بيد مَن يُقبِل عليه، إقبال الله ﷻ عليه هنا وضمن هذه الآية (يَهْدِي)

---

[١] سورة المائدة/آية/١٦.

[٢] الطريق إلى الله/الشيخ حُسين البحراني/ص٣٠.

فهداية اللهﷻ للإنسان، إقبال من اللهﷻ على الإنسان.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾

هذا الإنسان دائماً يعمل من أجل مرضاة المالك، الخالق، الرازق، المُوجِد، يعمل مُتبنِّياً للرسالة الإلهية، كلُّ ذلك لأنَّه أحبَّ الله، ومَن أحبَّ الله لابدَّ أن يُحبَّ منهجه، ومَن أحبَّ الله ومنهجه لابدَّ أن يُحبَّ نبيَّه، ومن أحبَّ الله ومنهجه ونبيَّه، لابدَّ أن يُحبَّ الإنسان، الذي هو الغاية الإلهية من هذا الوجود.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾

هذا المنهج الإلهي، التربية الإلهية، والتي ذكرنا منها مفردة العدل، وذكرنا منها مفردة المساواة، وهو الحدُّ الأدنى لحقوق الإنسان، والتي تُوصِلنا مع بقية أخواتها من المنهج الإلهي إلى مبدأ السلام ومفردة السِّلْم والسلام، فاتِّباع الإنسان للمنهج الإلهي يهديه إلى سُبُل السلام.

إذن، هنا صارت للإنسان هدايتان:

أولاً: هداية تكوينية، ضمن فِطرته إلى السلام.

ثانياً: هداية لُطفية: وهي أنَّ الإنسان بمقدار صِدْقه وإخلاصه لحَمْل رسالة السلام، سيأخذ اللهﷻ بيده إلى أن يُوصِله إلى غايته.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾

وعندما يهديه سُبُل السلام، سيخرج هو ومَن معه من حَمَلَة هذه الثقافة، من غَيَاهِب الجهل إلى نور المعرفة. وبالنتيجة سيخرج

مجتمعهم أيضاً، من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل، من ظلمات الظلم، من ظلمات هَدْر حقوق الإنسان، إلى نور العدل، إلى نور العلم، إلى نور السلام، نور المساواة، نور الاطمئنان، نور السعادة، نور الأمن، نور الخير وكلِّ الخير.. فبعد أن يهديهم إلى رِضوان الله وإلى سُبُل السلام، سيخرجون من الظلمات إلى النور، من مجتمع الغابة إلى مجتمع العدالة.

﴿يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

ومعنى (**بِإِذْنِهِ**) يعني: بلطفه، بتوفيقه، بإسناده، بإمداداته، بتثبيته، وإذا وصل الإنسان (فرداً وجماعة) إلى هذه النتيجة فتأتي الهداية الثانية، اللُّطف الثاني حيث يقول:-

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

يهديهم إلى الاستقامة، يهديهم من أجل أن يعيشوا الوَسَطية في تفكيرهم وفي سلوكهم وفي أخلاقهم، ضمن قاعدة (لا إفراط ولا تفريط)، ضمن قاعدة (أحببْ لأخيك ما تحبُّ لنفسك)، ضمن قاعدة (لا تظلم كما تحبُّ ألاَّ تُظلَم).

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

الاستقامة هي المطلوبة أولاً في الحياة الدنيا، وبعد ذلك إن عمل الإنسان بها في الحياة، وفعَّل طاقاته وقابلياته وقدراته من أجلها، فإنَّه كذلك في الآخرة سيهديه الله ﷻ إلى الصراط المستقيم،

متجاوزاً ذلك الصراط.

هناك آية أخرى لها علاقة بمفردة الهداية الإلهية، وهي قوله (سبحانه وتعالى):-

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]

إذا أردنا أن نربط هذه الآية بالمفاهيم الأخرى فنقول: هؤلاء الذين أخفوا: إمَّا معنى الآية، أو أبعدوا النصَّ عن معناه، واعتقدوا أنَّ الهدى ليس الهدى الإلهي فحسب، ولهذا من الممكن أن يكونوا ممَّن يتَّبعون الهوى مُتصوِّرين أنَّه الهدى.

هنا القسم الثاني من الآية يُؤكِّد على أنَّ: (**قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**) يعني: لا يوجَد غير هُداه، وهذا الهدى موجود في الفِطرة ضمن تكوين الإنسان، والاستجابة له ضمن توجُّهات النفس غير المُلوَّثة.

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾

نتيجة هدى الله ﷻ ماذا؟!.. تقول الآية:-

﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

السلام ما بينك وبين ربِّ العالمين.. الاستسلام الكامل منك لله ﷻ، بمقدار السلام منك لربِّ العالمين والاستسلام لله ﷻ، تتمكَّن أن تُترجِم السِّلْم والسلام في حياتك مع الإنسان الآخر.

---

[1] سورة الأنعام/آية/٧١.

للسلام.. صُوَر

هناك صور جميلة لقرآننا العظيم، تَمَنْهَجَ بها الإسلام الحبيب، وأراد الله (تَعَالَى) من البشرية جمعاء أن تلتزم بهذه المُعطَيات الإلهية الربَّانية، وبالنتيجة هي مُعطيات كرامة الإنسان، وحقوق الإنسان، وعيش الإنسان بِرَغَدٍ مع الإنسان الآخر، وأن يفهم السلام، ويكون السلام مفردة حياتية في تعامله مع الآخرين وكلِّ الآخرين.

هل السلام.. مع الذين أعرفهم فقط؟..

من الصور القرآنية: هو توضيح علاقة الإنسان مع الإنسان الآخر، بالتأكيد أنَّ هذه العلاقة لها مجالات متعدِّدة، من هذه المجالات: في حالة ذهاب الإنسان وسفره إلى مكان ما، واجتماعه ورؤيته لِمَن لم يكن يعرفه من قبل، سواءاً هذا اللقاء تمَّ في محلته، أو في قضائه، أو في محافظته، أو بقية المحافظات، أو بقية الدول الأخرى.

فهو لا يمتلك أيَّ مؤشرات ولا معلومات ولا أيَّ فكرة عن هذا الإنسان الآخر، لا سلباً ولا إيجاباً، هنا، يُوجِّهنا الإسلام إلى نظرية سلامة الداخل مع الإنسان الآخر، وعدم الحكم على الآخر بأيِّ نوع من أنواع الأحكام ما لم يعرف عنه شيئاً.

الكثير من الأسباب التي تُذهِب بالسلام، هي نتيجة عدم معرفة هذا الإنسان بالإنسان الآخر، ولكن الإسلام يريد أن يقول:

أولاً: عدم معرفتك به لا يعني عداؤك له.

ثانياً: ولا يعني إتِّهامك إيَّاه.

ثالثاً: ولا تحمله على أسوأ ظنونك.

إذن، المطلوب: أن تتعامل معه بموضوعية، تتعامل معه بضمير، تتعامل معه كإنسان مثلك، إمَّا أن يربطك به دين سماوي، وإمَّا أن تربطك به الفِطرة السليمة (التي هي فطرة الإيمان) وإمَّا أن تربطك به الأخوة بالإنسانية.

إلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة عندما تقول:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[1]

يعني: إذا تعاملتَ مع الآخرين، إذا سافرت إلى مكان معيَّن، سواء داخل وطنك وبلدك، أو خارج وطنك وبلدك، فلْيكن الأساس هو: حَمْلك للآخرين على السلامة، وتعاملك مع الآخرين على أساس السِّلْم.

---

[1] سورة النساء/آية/٩٤.

الفصل الأَوَّل

المبحث الثالث

مَبحَثٌ تَفسيري

مَبحَثٌ تَفسيري

وفي فصل التفسير المسترسل، ضمن تفسيرنا الكبير "البيان والتبيان في تفسير وتنزيل القرآن"/ج٣٣/ص٢٠٨ ما يلي:

((﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سافرتُم للجهاد في سبيله ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ اطلُبوا بيان الأمر ولا تقولوا ﴿لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ حيَّاكم بتحية الإسلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ قلتَ ذلك تَقِيَّةً فتقتلونه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ بذلك ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ حطامها النافد ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تُغنِيكم عنها ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ كُفَّاراً ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بأن جعلكم في زُمرة المُسلِمين﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ كرَّر تأكيداً ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فاحتاطوا في القتل)) (انتهى).

وقد جاء في تفسير "الميزان في تفسيرالقرآن" للعلاَّمة محمد حسين الطباطبائي ج/٥/ص٣٢ وما بعدها ما يلي:

((كلام في معنى التحية)

(الأمم والأقوام على اختلافها في الحضارة والتوحُّش والتقدُّم والتأخُّر، لا تخلو في مجتمعاتهم من تحية يتعارفونها عند الملاقاة، ملاقاة البعض للبعض على أقسامها وأنواعها، من الإشارة بالرأس واليد ورفع القَلانِس وغير ذلك، وهي مختلفة باختلاف العوامل

المختلفة العاملة في مجتمعاتهم.

وأنتَّ إذا تأمَّلتَ هذه التحيَّات الدائرة بين الأمم على اختلافها وعلى اختلافهم وجدتَّها حاكِية مُشيرة إلى نوع من الخضوع والهوان والتذلُّل يُبدِيه الداني للعالي، والوضيع للشريف، والمطيع لمُطَاعه، والعبد لمولاه، وبالجملة تكشف عن رسم الاستعباد الذى لم يَزَلْ رائجاً بين الأُمم في أعصار الهَمَجية فما دونها، وإن اختلفت ألوانُه، ولذلك ما نرى: إنَّ هذه التحية تبدأ من المطيع وتنتهي إلى المُطاع، وتَشْرَع من الداني الوضيع وتختتم في العالي الشريف، فهي من ثَمَرات الوثنية التى ترتضع من ثدي الاستعباد.

والإسلام –(كما تعلم)– أكبر همِّه إمحاء الوثنية وكل رسم من الرسوم ينتهى إليها، ويتولَّد منها، ولذلك أخذ لهذا الشأن طريقة سَوِيَّة وسُنَّة مُقابِلة لسُنَّة الوَثَنية ورسم الاستعباد، وهو إلقاء السلام، الذى هو بِنَحْوٍ أَمِنَ المسلم عليه من التَّعدِي عليه، ودَحْض حريته الفِطرية الانسانية الموهوبة له، فإنَّ أول ما يحتاج إليه الاجتماع التعاوني بين الأفراد: هو أن يأمن بعضُهم بعضاً في نفسه وعِرضه وماله، وكل أمر يؤول إلى أحد هذه الثلاثة.

وهذا هو السلام الذى سَنَّ الله (تَعَالَى) إلقاءه عند كل تلاقٍ من مُتلاقِيَين قال (تَعَالَى): ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً**﴾ [1] وقال (تَعَالَى): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

[1] سورة النور/آية/٦١.

آَمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١] وأدَّب الله رسوله (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالتسليم للمؤمنين وهو سيِّدهم فقال: **﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾**[٢] وأَمَره بالتسليم لغيرهم في قوله: **﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلاَمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾**[٣].

والتحية بإلقاء السلام كانت معمولا بها عند عرب الجاهلية على ما يشهد به المأثور عنهم من شعر ونحوه وفي لسان العرب: "وكانت العرب في الجاهلية يُحيُّون بأن يقول أحدهم لصاحبه: أَنعِمْ صباحاً، وأَبيتَ اللَّعن، ويقولون سلامٌ عليكم، فكأنَّه علامة المسالمة، وأنَّه لا حرب هنالك. ثم جاء الله بالإسلام فقُصِروا على السلام، وأُمِروا بإفشائه.)) (انتهى).

نحن قد ذكرنا في عدَّة مواطن: من أنَّ مسألة الإيمان هي مسألة فِطرية، فعندما تقول الآية: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ)** تقصد كلَّ إنسان، ولنُوضِّح ذلك ونقول: إنَّ للإيمان مفهومين: مفهوم عام، ومفهوم خاص:

---

[١] سورة النور/آية/٢٧.

[٢] سورة الأنعام/آية/٥٤.

[٣] سورة الزخرف/آية/٨٩.

المفهوم العام للإيمان: هو الإيمان الفطري، والذي نعتقد أنَّه موجود عند كلِّ إنسان وفي كلِّ إنسان، ضمن تكوينه وفي خِلْقته.

المفهوم الخاص للإيمان: هو التمسُّك بِقِيَم الإسلام واحترام الرسالات السماوية كافَّةً.

إذن، (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ**) من الممكن أن تشمل الاثنين: الإيمان العام والإيمان الخاص، ولهذا، النداء مُوجَّه إلى الذين آمنوا.

على المعنى الأول: النداء مُوجَّه للبشرية جميعاً.

على المعنى الثاني: النداء مُوجَّه لعموم المؤمنين بالله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾

كلمة (**فَتَبَيَّنُوا**) تُعطينا ضرورة أن نتوضَّح من كلِّ شيء، وألاَّ يكون هناك موقف سلبي مُسبَّق من الإنسان الآخر.. فكثيراً من الأوقات لا تكون الأفكار المُسبَّقة سليمة، وهذا ما نعيشه جميعاً في مجتمعاتنا، بسبب أو بآخر، فيمكن أن يكون قد اتَّخذ فكرة عن فلان أو فلان، وبعد ذلك تَبيَّن أنَّ هذه الفكرة ليست صائبة، من أجل ذلك نسمع من البعض تجاه البعض الآخر، قوله (ما كنتُ أعرفك)، وكأنَّه يُبرِّر ما كان من سلبية في تصوراته عن الآخر، لعدم معرفته.

القرآن الكريم، الإسلام الحبيب يقول لنا: لا تتَّخذوا أيَّ موقفٍ من الآخر إلاَّ بعد أن تَتبيَّنُوا، وتستوضحوا.

إذن فالموقف الأساسي هو: عدم اتَّهام الآخر، ونتيجة عدم تِّهام الآخر هو: عدم معاداته، وعدم العداء يعني: السلام.

لهذا، المطلوب حسب النصِّ الإلهي في الآية الكريمة: **(فَتَبَيَّنُوا)** يعني: أن تستوضحوا، ألاَّ تحكموا مُسبَّقاً، ألاَّ تقرِّروا فوراً.. فدائماً أيُّ قرارٍ أو حكمٍ من دون استبيانٍ واستيضاحٍ، يكون بعيداً عن الحقيقة.

((في تفسير قوله (تَعَالَى):-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1]

فإنَّها نزلت لمَّا رجع رسول الله (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من غزوة خيبر وبعث أُسامة بن زيد في خيلٍ إلى بعض قرى اليهود في ناحية "فَدَك" ليدعوهم إلى الإسلام، وكان رجلٌ من اليهود، يُقال له مِرداس بن نَهيك الفَدَكي في بعض القرى، فلما أحسَّ بخيل رسول الله (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) جمع أهله وماله وصار في ناحية الجبل، فأقبل يقول: "أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول الله"، فمرَّ بِأُسامة بن زيد فطعنه فقتله، فلمَّا رجع الى رسول الله (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أخبره بذلك، فقال له رسول الله (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ):-

﴿فَقَتَلْتَ رَجُلاً شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُوْلُ اللهِ؟!...﴾

---

[1] سورة النساء/آية/٩٤.

فقال:يا رسول الله، إنَّما قالها تَعوُّذاً من القتل، فقال رسول اللّه (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ):-

﴿فَلاَ شَقَقْتَ الْغِطَاءَ عَنْ قَلْبِهِ، وَلاَ مَا قَالَ بِلِسَانِهِ قَبِلْتَ، وَلاَ مَاكَانَ فِي نَفْسِهِ عَلِمْتَ﴾

فحلف أسامةُ بعد ذلك أن لا يقتل أحداً، شهد أن لا اله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه))[1]

سلامُك.. يُقرُّهُ كلامُك

بعد ذلك، تلتفت الآية الكريمة إلى قاعدةٍ إلهيةٍ وعقليةٍ مُهمَّةٍ، هذه القاعدة هي: أنَّ لسان الإنسان حُجَّةٌ عليه، فلو قال شيئاً في لسانه، يعتبر حُجَّة عليه ومُستمسكاً ضدَّه، ولهذا:

المرحلة الأولى: إن رأيتَ آخرين أو رأيت إنساناً آخر، ينبغي عدم الحكم عليه (وكما ذكرته بداية الآية).

المرحلة الثانية: لو ادَّعى الإنسان بلسانه شيئاً، وقال كلمات معيَّنة، لابدَّ أن تأخذ بما يقوله، فإقرار الإنسان على نفسه حجَّة، إقرار الإنسان على نفسه مُلْزِمٌ له، كذلك مع إقراره لا يمكن أن تتَّهمَه خلاف ما هو أقرَّه لنفسه.. وهنا، تأتي هذه القاعدة على صعيدين:

الصعيد الأول: صعيد الحكم عليه.

---

[1] السيرة النبوية عند أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ)/الشيخ علي الكوراني العاملي/ج٢/ص(٣٥٨-٣٥٩).

الصعيد الثاني: صعيد التعامل معه.

فلنرجع إلى الآية الكريمة، ولنلتفت إلى القاعدة والتي تقول:-

﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾

السلام بمعناه العام هو: الاستسلام.. السلام بمعناه الخاص هو: رسالة محمَّد خاتم النَّبيِّين(صلى الله عليه وآله وسلم)، فلو أنَّ شخصاً لم تعرفْه سابقاً وقال بلسانه مُقرَّاً: إنَّني من المسلمين، من حَمَلَة السلام والاستسلام، فهنا:

أولاً: يدلُّ إقراره على أنَّه ضمن الرسالة الإلهية.

ثانياً: يدلُّ إقراره على أنَّه ليس هناك ما بينك وبينه شيء.

ويمكن أن يلاحظ الجانب الثاني بوجهين:

الوجه الأول: مَن أسلم للهﷻ واستسلم إليه، لابدَّ أن يَحتَرِم ويُكرِّم خليفةَ اللهﷻ الذي هو الإنسان.. إذن، سلامة علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان هنا، وكأنَّها مرتبطة باستسلام الإنسان لربِّه، وهذا هو المعنى الخاص.

الوجه الثاني: أنَّ (**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا**) يعني: يريد أن يُؤكِّد السلام ما بينه وبينك، فمَن تُلاقيه، ليس من حقِّك أن تقول له: أنَّك غير صادق فيما تقول، وأنَّك تريد أن تَخدَعَني أو تَغرَّني أو ما شابه وشاكل ذلك.. لك أن تَحذَرَ منه ولكن ليس لك أن تحكم عليه.

إذن، النتيجة: لابدَّ أن تكون الحالة ما بينك وبينه على أساس

ما قال، وليس على أساس سوابقَ تَحملُها في فكرك أو نفسك عن الآخرين.. هذه القاعدة تُعطينا ضرورة التصرُّف بموضوعية في كلِّ ما نحكم به، ونُقرِّره، ونعمل به، ونتعامل على أساسه مع الآخرين.

يعني مَن قال لك: إنَّني لا أحمل السلام ضدَّك، فلا يصحُّ منك أن تقول له عكس قوله، لأنَّك لو قلتَ عكس قوله، ستنتقل الحالة من السلام إلى العداء.

الفصل الأَوَّل

المبحث الرابع

بِعقائدَ مختلفةٍ.. ويُظِلُّنا السلامُ

بعقائد مختلفة.. ويُظِلُّنا السَّلام

بعد ذلك كأنَّ الآية الكريمة تلتفت إلى واقع اجتماعي موجود عند بعض أبناء الديانات، أبناء الطوائف، أبناء المذاهب، أبناء القوميات، وهو: ادِّعاءُه أنَّه وحده على صواب، وأنَّ غيره على خطأ، أيَّاً كان هذا الغير، من أجل تأكيد وجوده، فكأنَّه يرى وجوده نتيجة معتقداته وأنَّها هي وحدها الصحيحة.

والحقُّ: أنَّ الإسلام لا يمنع أن يكون الإنسان مؤمناً بمعتقداته، مُتمسِّكاً بها، ولكن يمنع من أن يقول للآخرين: إنَّ معتقداتي أفضل من معتقداتك، فإنَّ ذلك يجرُّ أفراد المجتمع إلى أنواع العداوة والبغضاء فيما بينهم.. فليُوضِّح معتقداته بعمله للآخرين، وقد يُحبُّون معتقداته بعد عمله، بعد أداء صورة عملية له.

هذه السلبية المجتمعية تُشير إليها الآية الكريمة، وتُؤكِّد على ضرورة عدم الالتفات إلى المصالح الفردية أو الجماعية (هذه المصالح الجماعية بأيِّ اسم كانت أو مُسمَّى).

كأنَّ الآية الكريمة تريد أن تقول: عدم رضاك بقول الآخر، أنَّه من حملة السلام والاستسلام لله ﷻ وللإنسان، عدم قبولك بذلك يعني: ابتغاؤك لمنافع شخصية، سواءاً شخصية لفرد أو شخصية لمجموعة.. إلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة:-

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

اليوم، من جملة سلبيات بعض المجتمعات التي عملت بقانون المُحاصصة: تعمل وتسعى بكلِّ ما لديها من قوة بأن تُؤكِّد وجودها على حساب إضعاف الآخرين، تُؤكِّد مناصبها ومراكزها على حساب الآخرين.. كلُّ ذلك لأنَّهم يبتغون عَرَض الحياة الدنيا.

ولكن كلُّ ذلك، ليس من رسالة الإسلام، ولا من رسالة الاستسلام لله ﷻ، ولا من الرسالات السماوية، وإنَّما مَن يحمل هذه الثقافة، فأنَّه يطلب عَرَض الحياة الدنيا.

الردُّ على هذا الموقف السلبي من الإنسان الآخر هو: أنَّ الله ﷻ وحده عنده المغانم، وأنَّ الله ﷻ وحده هو الذي يُثبِّتُك ويَنصرُك على أعداء الإنسان، وليس أعداء الفرد، وليس أعداء المجموعة (أيَّاً كانت هذه المجموعة، بأيِّ اسم وبأيِّ مسمى).

لهذا فالآية الكريمة تقول: إرجع إلى الله، إرجع إلى ربِّ العالَمين، إرجع إلى قِيَم السماء.

﴿فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾

إذا كُنتَ تريد النصر: فالنصر من الله ﷻ.. تريد المُلْك: الله ﷻ يعطي المُلْك لِمَن يشاء.. تريد العزَّة: العزَّة بيد الله ﷻ، العزَّة لله ولرسوله وللمؤمنين، الذين استسلموا لله ﷻ قولاً وعملاً.

بعد ذلك، الآية الكريمة تُشير إلى واقِع مجتمعي جاهلي،

فالمجتمع الجاهلي كان قائماً على أساس الغَلَبة أمام الآخرين، وأنَّ الذي يغلب الآخر هو الذي تكون له المَكَانة والسلطة والأهمِّيَّة والكلمة المسموعة.

والحقيقة: أنَّ مفردة الجاهلية هي مفردة لا يحدُّها زمان ولا مكان، وإنَّما هي مفردةٌ تعني انعدام القِيَم، حيثما وُجِدت، وُجِدت الجاهلية..

وإلى ذلك تُشير الآية الكريمة:-

﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾

القرآن الكريم نزل على سيِّد الأنبياء والمُرسَلين، محمَّد بن عبدالله(صلى الله عليه وآله وسلم)، رسالته من الله ﷻ إلى البشرية، والذي بعثه (سُبْحَانَهُ وتَعَالَى) رحمةً للعالَمين، وكأنَّ الله ﷻ يريد أن يقول للبشرية: نزول هذه الرسالة لابدَّ أن يكون حدَّاً فاصلاً بين ما كنتُم عليه وما هو مطلوب منكم الآن.

﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾

الآن، وقد جاءتكم هذه الرسالة التي هي رحمة للعالَمين، التي هي اللُّطف الإلهي، التي هي التربية الإلهية للإنسان والمجتمع وللبشرية، إذن المطلوب منكم: أن تعيشوا السلام فيما بينكم.

الـمُسالِمون.. مَوضوعيون

لأهمِّية الموضوعية في التعامل مـع الآخـر، ذكـرت الآيـة الكريمة مسألة (**فَتَبَيَّنُواْ**) مرتين: بمعنى الاستيضـاح، وأن تتبـيَّن الأمر، ولا تُقرِّر وتحكم على الآخر، إلاَّ بعد أن تتبيَّن، ولهذا قالـت في بداية الآية الكريمة:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾

وتقول في نهاية الآية الكريمة:-

﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

(**فَتَبَيَّنُواْ**) الأولى هي: في علاقة الإنسان وتعامل الإنسان مع الإنسان الآخر.

(**فَتَبَيَّنُواْ**) الثانية هي: في علاقة الإنسان مـع نفسـه ومـع اللهﷻ.. فالإنسان بمقدار صدقه مع نفسه، سيتبيَّن الأمـور، ومـع عدم صدقه مع نفسه، سيحاول أن يُقنِع نفسه بأمور ليست واقعية، وإنَّما يحملها لهوى في نفسه، لأغراض خاصَّة.

الآية الكريمة تريد أن تقول لكلِّ إنسان، لكلِّ جماعة، للبشرية جميعاً: لابدَّ أن تتبيَّنُّوا، لأنَّ ما تحكُمون به ومـا تقولونـه علـى الآخرين، يعرض بين يدي اللهﷻ، ما تقرِّرونه وما تحكمـون بـه، سيكون في الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاَّ أحصاها، ما

تحكمون به وتقرِّرونه، سيكون ممَّا يكتبه المَلَكان الشاهدان، ولهذا تقول الآية الكريمة:-

﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

كيف لا يكون خبيراً وهو أقرب إلينا من حبل الوريد؟...

من صور السلام: الاستقامة

من الصور القرآنية للسلام، هي: صورة الاستقامة، التي هي غاية سعادة الإنسان في الحياة الدنيا، وغاية مرضاة اللهﷻ عليه في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[1]

الآيات التي وَرَدَت في (سورة فصلت) تربط ما بين السلام والاستقامة، يعني: الاستقامة التي تربطنا بالسلام، وكذلك يصحُّ العكس، السلام الذي يربطنا بالاستقامة:

استقامة الفكر، بأن يكون فكر الإنسان وعقله فكراً إنسانياً

[1] سورة فُصِّلت/آية/(٣٠-٣٢)

وليس عدوانياً. ونحن كمؤمنين نعتقد أنَّ الإيمان بـاللهﷻ يـرتبط بمقدار ما نعمل من أجل صقله ووضوحه ومعايشته، وسوف يُعطينا نضجاً في تفكيرنا، ومن هنا، يأتي اقتـران الاسـتقامة والسـلام، والسلام مع الاستقامة.. لأنَّ الفكر العدواني هو فكـر بعيـد عـن الاستقامة، وبالنتيجة سيكون بعيداً عن السلام، يعني: بعيـداً عـن اللهﷻ وعن التربية الإلهية للإنسان، فرداً ومجتمعاً.

كما أنَّ الاستقامة في الفكر، الاستقامة فـي العقيـدة، تُعطـي للإنسان ضوابط، وهذه الضوابط يكون لها مظاهر في قول الإنسان وفي عمله.. فدائماً الفكر عندما يتَّجه اتِّجاهـاً سـليماً يُفعِّـل دور الإنسان تفعيلاً سليماً، ويستثمر طاقاته اسـتثماراً سـليماً، وهـذا الاستثمار للطاقات يتجسَّد أولاً باللسان الذي هو الكلام..

فعندما يكون فكر الإنسان سـليماً سـيكون اللسـان سـليماً، وعندما يكون فكره حاملاً القدسية العملية لربِّ العالَمين، سـيكون السلام من أُسس إيمانه، واعتقاداته، وشعاراته.

لهذا أول ما يظهر السلام المُقترِن بالاستقامة، يظهـر علـى اللسان، على الكلام، فيكون لسان الإنسان بعيداً عن كلِّ السـلبيات التي يبتعد بها الإنسان عن مفهوم السلام العملي.. فهو بمقدار مـا يعيش السلام الفكري سيعيش السلام كـذلك بأعضـائه وأجزائـه، وأُولى هذه الأعضاء والأجزاء سيكون اللسان، كما تنصُّ عليه الآية الكريمة.

عندما نقول: اقتران السلام بالاستقامة، كأنَّ المطلوب في كلِّ الأشياء: الاستقامة، فلا إفراط ولا تفريط، لا غُلوّ ولا تَطَرُّف، فالاستقامة من معانيها: الوَسَطية.. وهذا ما أراده اللهﷻ للأمَّة المؤمنة عندما يخاطبها ويقول:-

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً.... ﴾[1]

لا يمكن أن نعيش الاستقامة والوسطية إلاَّ بأن يكون أساسها مفردة السلام، ولهذا عندما نُؤكِّد على أنَّ السلام من ضروريات الاستقامة.. والاستقامة لا تتمُّ إلاَّ بالسلام، لأنَّ الاستقامة لا تتمُّ إلاَّ بالإيمان الواضح ما بين الإنسان وبين اللهﷻ، وهذا الإيمان الواضح لابدَّ أن يعتقد باللهﷻ وبكلِّ أسمائه، ومن أهمِّ أسماء اللهﷻ: السلام.

الآية الأولى التي تذكر موضوع الاستقامة، وكيف أنَّ الاستقامة ستوصلنا إلى السلام، وأنَّ أساسها السلام، عندما تقول:-

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوْا وَلاَ تَحْزَنُوْا وَابْشِرُوْا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوْعَدُوْنَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ

[1] سورة البقرة/آية/١٤٣.

﴿نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[١]

كأنَّ الآية أولاً تشير إلى الإيمان في الداخل، والذي لا يكفي وحده، ولكن جسَّدوا إيمانهم الذي يحملونه في الداخل إلى الخارج، ولهذا تقول الآية الكريمة:-

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ﴾

إيمان في مرحلة اللفظ، وتكتمل الصورة في الفقرة التالية للآية والتي تقول:-

﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوْا﴾

فمسألة الاستقامة ليست مسألة فكرية فقط، ولا مسألة داخلية قلبية فقط، ولا مسألة لفظية وكلامية فقط، وإنَّما هي مسألة سلوكية، حياتية، تصرفات، وأعمال.

---

[١] سورة فصلت/آية/(٣٠-٣٢).

الفصل الأَوَّل

المبحث الخامس

مجتمعاتُ.. السَّلام

مجتمعات.. السلام

هؤلاء الذين آمنوا باللهﷻ، وآمنوا بأهمية السلام، وقالوا ربُّنا الله، وترجموا هذا القول إلى عمل وإلى سلوك، تقول الآية الكريمة عنهم:-

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوْا وَلاَ تَحْزَنُـوْا وَابْشِـرُوْا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُـوْعَدُوْنَ﴾

دائماً المجتمعات البعيدة عن السلام تشعر بالخوف، يشعر البعض بالخوف من البعض الآخر، لأنَّ فكرة السلام عندهم، إمَّا غير موجودة أو ضعيفة، ولهذا، الكثير من أفراد المجتمع أو من المجاميع الموجودة في المجتمع تعيش حالة الخوف، القلق، الرعب من اعتداء الآخرين، نتيجة عدم وجود ثقافة السلام.

أمَّا بالنسبة لِمَن آمن باللهﷻ، وقال إيمانه بلسانه، هذا الإيمان الذي لابدَّ أن يقترن بثقافة السلام ومبدأ السلام، ومن ثمَّ استقام بعمله، ترجم إيمانه القلبي واللفظي إلى عمل وسلوك، فلا يخاف بعضهم من بعض.

﴿وَابْشِرُوْا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُـوْعَدُوْنَ﴾

بعد ذلك، حالهم في الآخرة تقول الآية الكريمة عنه:-

﴿وَابْشِرُوْا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُـوْعَدُوْنَ﴾

حياة الدنيا بالنسبة لهم خالية من الفزع، خالية من الخوف، خالية من الحزن الذي يأتي للآخرين، لأنَّ السلام هو أخلاقهم وثقافتهم.. وكذلك هذا هو حالهم عندما يذهبون إلى الحياة الثانية، إلى الحياة الباقية، وهي الآخرة.

وهؤلاء الذين قالوا ربُّنا الله، وترجموا إيمانهم بعملهم، وكان السلام جزءاً أساسياً في عقيدتهم وقولهم وعملهم، هؤلاء دائماً يكون الله ﷻ وليّهم، وحاميهم.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾

الولاية في الحياة الدنيا بمعنى: وضع الدليل للمجتمع، وضع المنهج للمجتمع، توضيح الطريق للمجتمع، كلُّ هذه المفردات من معاني (**نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**)، نُمِدُّكم، نساعدكم على تحقيق المفردات الإلهية والتي من أساسها: السلام.

الآية الكريمة تريد أن تُكمِل ألطاف الله ﷻ وتُظهِرها إلى البشرية بشكل عام، وإلى الأُمَّة المؤمنة بشكل خاصٍّ، ولهذا تقول:-

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾

كذلك هذه الولاية تبقى دائمية ومُتجسِّدة، سواءاً في الحياة الدنيا أو عندما يذهب الإنسان إلى آخرته.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾

(فكرة السلام العملي)، الإنسان عندما يؤمن بها، يُقدِّمها على كلِّ الأفكار الأخرى، ويمكن في بعض الأوقات يُقدِّمها على ذاته، يُقدِّمها على الأنا التي في داخله، يُقدِّمها على رغباته، لأنَّ مسألة السلام هي المسألة الأساسية.. فالآية وكأنَّها تريد أن تقول:

يا أيُّها الإنسان، الذي استقمتَ في حياتك، وجعلتَ السلام أساساً لكلِّ حركاتك وتصرفاتك في الحياة الدنيا، حتَّى لو كانت على حساب ذاتك، وعلى حساب رغباتك، وعلى حساب (الأنا والذات) التي في داخلك، الخطاب لهذا الإنسان، تقول له الآية الكريمة:-

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾

الحالة في الآخرة حيث الأمر كلُّه بيد الله ﷻ.. تماماً أنَّ الأمر بيد الله في الدنيا والآخرة، ولكن يبقى الإنسان في الدنيا هو المختار، وفي الآخرة لا اختيار له، وإنَّما يعيش بلطف إلهي.. فالله ﷻ يقول له:

أنت الذي قدَّمت السلام والاستقامة في حياتك الدنيا ولو على حساب رغباتك ونزعاتك و(الأنا والذات) الموجودة في داخلك، الآن أنت في الآخرة كما تشتهيه نفسك.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾

يعني: ماذا تطلبون في الآخرة يأتيكم، نتيجة ما كنتُم عليه من سلامٍ واستقامةٍ في حياتكم الدنيا.

خلاصة الفصل الأول

١-اللهﷻ يأمر كلَّ المؤمنين به أن يدخلوا في رحاب السلام، وبذلك يكون السلام ثقافة مجتمعية عامَّة، يتعارَف عليها كل المجتمع بكلِّ طبقاته وتنوُّعاته.

٢-إنَّ التربية الإلهية القرآنية عندما تترسَّخ داخل ذات الإنسان، فإنَّها تنعكس على واقع الإنسان الحياتي، لأنَّ الإنسان يُظهِر للخارج كلَّ ما يُؤمِن به في داخله.

٣-الإنسان البعيد عن الإيمان بقِيَم اللهﷻ يكون بعيداً عن ثقافة السلام، وقريباً من النَّزَغَات الشيطانية التي تجلب الشرور والآلام.

٤-سيكون الله تعالى مع العبد ما دام العبد في عون أخيه، والسلام هو الوشيجة التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان، والسلام هو الذي يُقوِّي كلَّ الروابط الاجتماعية الإيجابية في حياة الإنسان.

٥-على مَرِّ التأريخ، هناك أشخاص ومنهم (علماء السُّلْطة)، وحُكَّام الجَوْر الذين يتلاعبون بالألفاظ، خدمةً لمصالحهم الدنيوية، وهؤلاء يُؤثِّرون على المجتمع بشكلٍ سلبيٍ، فيُقرُّون ما تُملِي عليهم رغباتُهم وشهواتُهم ويُعرِضون عمَّا أمر به الله سُبْحَانَهُ.

٦-إنَّ اتِّباع الإنسان للمنهج الإلهي يحصل به على الهِداية التكوينية، التي تكون داخل فِطرته الإنسانية، ويحصل أيضاً على الهِداية اللُّطفيَّة، التي هي هِبة من الله تعالى للإنسان المُؤمِن.

٧-هنـــاك مفهومان للإيمـــان: المفهوم العـــام، وهو الإيمان الفِطري المغروس داخل ضمير الإنسان وفي نفسه. والمفهوم الخاص للإيمان، وهو التمسُّك بِقِيم الإسلام واحترام الرسالات السماوية كافَّة.

٨-إنَّ فكرة السلام العملي تكون بترجمة إيمان الإنسان بالسلام، إلى واقعٍ مُعاشٍ ومحسوس من قِبَل المجتمع والأفراد.

الفصل الثاني

ويتكوَّن من أربعة مباحث

المَبحث الأول:

العمل الصالح.. مِصداق لسلامة اللسان

المَبحث الثاني:

منهج القرآن.. في تحقيق السلام

المَبحث الثالث:

قُدوات السلام

المَبحث الرابع:

عِباد الرحمن.. عباد السلام

الفصل الثاني

المبحث الأول

العمل الصالح.. مِصداق لسلامة اللسان

العَملُ الصالحُ.. مِصداقٌ لِسَلامةِ اللّسان

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوْا وَلاَ تَحْزَنُوْا وَابْشِرُوْا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوْعَدُوْنَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[١]

تأتي الآيات الكريمة إلى تأكيد أساسي لصورةٍ من صُوَر السلام، وهو صورة: السلام في القول، السلام في اللسان، فدائماً العلاقات أول ما تكون على أساس اللسان، وعلى أساس الألفاظ، وأغلب الأفراد يأخذون صوراً عن الآخرين، ممَّا يسمعونه من ألسنتهم، هذا جانب.. الجانب الآخر: أهمية السلام في حياة الفرد والمجتمع، ولهذا وَرَدَت أحاديث وروايات:-

﴿الإِنْسَانُ بِأَصْغَرَيْهِ: قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ﴾

وفي حديث آخر:-

﴿وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ﴾ [٢]

لهذا كثير من الآيات تُؤكِّد على سلامة اللسان، السلام في

---

[١] سورة فصلت/آية/(٣٠-٣٢).

[٢] أعيان الشيعة/السيد محسن الأمين/ج٤/ص٢٣٥.

اللسان، ومنها هذه الآية الكريمة التي تقول:-

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]

الآية تحاول أن تُؤكِّد مفهوم السلام في القول بكلِّ جوانبه، وفيها تأكيد على حَمَلَة رسالة السلام، والتي هي الرسالة الإلهية، والتي هي المنهج الإلهي، وتُؤكِّد على ضرورة استعمال أطيب الكلمات في إيصال مفردات المنهج الإلهي إلى الآخرين، والتي من أهمِّها: مبدأ وثقافة السلام، ولهذا تقول:-

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

الدعاء إلى الله ﷻ، يعني: الدعوة إلى الله ﷻ، يعني: تقريب الأُمَّة إلى الله ﷻ، يعني: تحبيب الأُمَّة لله ﷻ.

بالتأكيد لا يمكن أن يكون القول الحَسَن والدعوة إلى الله والعمل الصالح بالجَبْر، ولا بالعُنف، ولا بالغِلظة، ولا بالإكراه، ولهذا فالآية تُؤكِّد على أنَّ القول الحسن، القول المسالم هو سيِّد الموقف.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾

بعد ذلك، دعوته هذه إلى الله ﷻ ودعوته إلى السلام، لا يمكن أن تكون فقط باللسان، وإنَّما لابدَّ أن تكون باللسان والعمل، بمعنى:

---

[2] سورة فصلت/آية/٣٣.

أنَّ الآخرين لابدَّ أن يَرَوا الصدق فيما تدعو إليه في عملك، في سلوكك، في تصرفاتك.. ولهذا تقول الآية الكريمة:-

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾

لابدَّ أن يُجسِّد الإنسان دعوته إلى الله ﷻ، دعوته إلى السلام بعمله الصالح، بعمله المخلص، بعمله الذي فيه خدمة لله ﷻ، وخدمة للمجتمع، وخدمة للإنسان.

كيفَ يُفْسِدُ الشَّيطانُ.. السلام؟!...

عندما تقول الآية الكريمة:-

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

ذكرنا مراراً أنَّ كلمة الإسلام وكلمة المسلمين هي من الاستسلام لله ﷻ، يعني: حالة السلام ما بينك وبين الله ﷻ، لابدَّ أن تُجسِّدها في علاقتك مع الإنسان الآخر، في علاقتك مع المجتمع، على قاعدة: مَن أحبَّ الله ﷻ لابدَّ أن يُحبَّ الإنسان، ومَن عاش السلام ما بينه وبين الله ﷻ، لابدَّ أن يعيش السلام ما بينه وبين الإنسان الآخر.

كلُّ ذلك ضمن استسلام الإنسان لله ﷻ، ولا يمكن أن تستوي الحسنة ولا السيئة، الحَسَنَة أساسها: السلام.. السلام مع النفس، السلام مع الله ﷻ، السلام مع الآخرين.

السيئة هي: الإساءة إلى النفس، الإساءة في علاقتك مع اللهﷻ، الإساءة في تعاملك مع الآخرين، ولهذا الآية الكريمة تقول:-

﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1]

بعد ذلك تُعطينا صورة للحسنة، الآية الكريمة، فتقول:-

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

هذه صورة من صور السلام في التعامل مع الآخرين، فهناك يمكن أن نتصوَّر صورة (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وصورة (الغضب والعنف وما شابه وشاكل ذلك).

اللهﷻ يريد منَّا ونحن قد سلَّمنا إليه (يعني: من المُسَلِّمين للهﷻ) يريد منَّا: أن يكون تعاملنا مع الآخر بالحسنة، بالحُسنى، بـ(إدفع بالتي هي أحسن)، وتكون النتيجة في حالة (إدفع بالتي هي أحسن)، في حالة تفعيل ثقافة السلام.

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

دائماً السلام يُذلِّل الكثير من الصِّعاب، والكلمة المسالمة تمحو الكثير ممَّا في القلوب.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

---

[1] سورة فصلت/آية/٣٤.

بعد أن كان عدوًّاً لك، يكون صديقاً إليك.

ولكن دائماً السلام يحتاج إلى صبر، يحتاج إلى تحمُّل، بعض الأوقات يحتاج إلى كَبْح النفس.

ولهذا تقول الآية فيما بعد:-

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1]

يعني: لا يُلقَّى القدرة على حمل السلام بالقلب واللسان والعمل والسلوك والدفع بالتي هي أحسن وتغيير العدوِّ إلى صديق إلاَّ الذي عنده صبر.. **(وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا)** وهؤلاء الذين صبروا هم أهل الحظوظ الكبيرة، ولهذا تقول:-

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

دائماً في حالة حَمْلِنا لثقافة السلام، مفردة السلام، إيماننا بالسلام، عقيدتنا بالسلام، بمقدار إيماننا وعقيدتنا تكون هناك نزغات شيطانية تحاول أن تُبعِدنا عن إيماننا بالسلام، وثقافة السلام، وكلامنا بالسلام، وتفعيل اللسان بالسلام، وتفعيل أجزاء الإنسان بالسلام، وتفعيل طاقاته على مبدأ السلام، ولهذا دائماً يحتاج إلى أن يَستَعِيْذَ من الشيطان الرجيم، ولهذا تقول الآية فيما بعد:-

---

[1] سورة فصلت/آية/٣٥.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1]

من أجل ألاَّ تُعطِيَ مجالاً للشيطان أن يدخل إليك ويُفسِد ما في فكرك من السلام، ما في قولك من السلام، ما في عملك وسلوكك من السلام، سواءاً كان مع نفسك أو في علاقتك مع اللهﷻ أو في علاقتك مع الإنسان الآخر، مع المجتمع وكلِّ المجتمع.

من صور السلام: التعامل مع المجتمع بواقعية

اليوم ندخل إلى صورة جديدة قرآنية عن كيفية التعامل مع الآخر، وكيفية تأكيد وضرورة الوصول إلى نتيجة لهذا التعامل للوصول إلى السِّلْم والسلام.

هذه الصورة القرآنية الرائعة الجميلة كبقية الصور القرآنية تُعطِينا واقع مجتمعي معيَّن، وكأنَّ القرآن الكريم يريد أن يقول:

إنَّ لكلِّ صورة تعامل، ولكلِّ مفردة مجتمعية نوع من أنواع التعامل، فالذي يتبنَّى مبدأ السلام، ويترجم ذلك إلى ثقافة للسلام، يعمل بها ويعمل من أجل إشاعتها ونشرها وتوسيعها، ويبني نفسه ويبني مجتمعه على أساسها، لابدَّ أن تكون هذه المفردة والتي هي السلام، مفردة تتعامل مع كلِّ الصور المجتمعية، المكونات المجتمعية، الثقافات المجتمعية.. مع تبايُن هذه الثقافات، مع

---

[1] سورة فصلت/آية/٣٦.

اختلاف هذه الثقافات.. ولكن لابدَّ للسلام أن يتحقَّق، لأنَّه مسألة أساسية في التعامل أن توجَد له أساليب للتعامل مع كلِّ هذه المكونات، وكلِّ هذه الصور، وكلِّ هذه الأفكار، وكلِّ هذه الآراء.

السلام للناس.. لا للملائكة

من هذه الصور هي: صورة واقع المجتمع، الذي لا يُمكِن أن يكون واقعاً ملائكياً، لأنَّ الإنسان لا يمكن أن يكون في كلِّ تصرفاته ملائكياً. الإنسان الذي يسعى إلى تربية نفسه وتأكيد علاقته مع اللهﷻ، مع الخالق، مع المُوجِد، مع المُكوِّن، مع المُربِّي (الربِّ)، هذا الإنسان يتكامَل، ولكن لا يمكن أن يكون متكاملاً، ولهذا لا يمكن أن يكون مَلَكَاً، وما دام الإنسان لا يرتقي لأن يكون مَلَكاً، فليس هناك مجتمعٌ ملائكيٌّ، لأنَّ المجتمع مُكوَّنٌ من أفراد، فهو مُكوَّن من هذا الإنسان، والإنسان الآخر، والإنسان الثالث، وهكذا.

وهناك كَبَوات للفرد، وهناك كَبَوات مجتمعية.. هناك أخطاء للفرد، وهناك أخطاء مجتمعية.. أكثر من ذلك: هناك انحرافات للفرد، وهناك انحرافات مجتمعية.

بالتأكيد نحن نقصد بانحراف فرد: هي انحرافات تفرضها رغباته والميول والأنا والغرائز، تلك هي الانحرافات الفردية.

الانحرافات المجتمعية: هي الانحرافات التي يفرضها المجتمع أو يحاول أن يفرضها المجتمع، وهو ما يُسمَّى في كثير من

مجتمعاتنا بـ(الأعراف)، هناك أعرافٌ جيِّدةٌ وهي أعراف المجتمع المستقيم، المجتمع النظيف، المجتمع المُتعلِّم، المجتمع المُثقَّف المؤمن، المجتمع الوطني المؤمن، أعرافه دائماً تكون أعرافاً جيِّدة وأعرافاً سليمةً وطيِّبةً.

لكن مجتمعاتنا ليست كلُّها هكذا، فهناك مجتمعات بعيدة عن بعض هذه القِيَم، إمَّا بعيدة عن الإيمان بشكله العملي، وتأخذ الإيمان بصورته النظرية أو الشكلية، كما يقول البعض: إنَّني يكفي أن أحبَّ الله، غير ملتفت إلى أنَّ مَحبَّته لله ﷻ تكون صادقة مع تطبيق المنهج الإلهي، التوجيه الإلهي الذي هو من صالحه وصالح شعبه وبلده وأُمَّته ووطنه، فعندما يُطبِّق التوجيه الإلهي يُصيِّر منه (هذا التوجيه الإلهي) مُواطناً صالحاً، يعرف ما له وما عليه، في تصرُّفاته، في بيعه، في شرائه، في علاقاته، في مَحبَّته للآخرين، وهكذا في كلِّ مفردات حياته.

لكن جهلاً منه لمفهوم الحبِّ لله ﷻ، فهو يدَّعي أنَّه يحبُّ الله وهذا يكفي، وهذا المفهوم وللأسف موجود في كثير من أفراد مجتمعنا..

أو أكثر من ذلك، يتكلَّم عن الإيمان ولكن يتكلَّم كشعارات، يتكلَّم وكأنَّه إعلانات للإيمان، والإيمان لا يحتاج إلى إعلان.. الإيمان مسألة تكوينية في الإنسان، وإنَّما يحتاج إلى إظهار، إلى صقل، إلى تربية، إلى تنمية، إلى تطوير، إلى تجسيده على الأرض،

إلى تجسيده في السلوك والأخلاق.

وهكذا في الجانب الوطني، هناك الكثير مِمَّن يدَّعي الوطنية ولكن ضمن مكوناتٍ تدَّعي الوطنية ولا تعمل من أجل الوطن، ولا تُقدِّم مصلحة الوطن، هناك مجاميع تَدَّعي الوطنية ولكنَّها تُقدِّم مصالحها الذاتية، وبعد ذلك مصالح أحزابها ومصالح مذاهبها ومصالح قومياتها على البيت الكبير الذي هو الوطن، على الخيمة الكبيرة التي هي الوطن.

كلُّ هذه الأمور هي شواهد مجتمعية لعدم سلامة كلِّ الأفكار والثقافات المجتمعية. وإن كانت هناك مجتمعات سليمة، تُؤمِن بالإيمان نظرية وعمل، تؤمن بالإيمان قلباً ولساناً وجوارح، تؤمن بتعريف الإمام الرضا عليه السلام للإيمان عندما قال:-

﴿الإِيْمَانُ: اعْتقادٌ بالجَنانِ، وإقْرارٌ باللّسانِ، وعملٌ بالأَركانِ﴾[1]

تؤمن: أنَّ مَن كان مؤمناً ومَن كان من أبناء الإسلام، أنَّ الإسلام هو:

أولاً: الاستسلام لله سبحانه وتعالى في منهجه، في تربيته، في توجيهه.

ثانياً: الاستسلام لله سبحانه وتعالى هو سِلْم مع الإنسان الآخر، سلام مع الكون، وهذا واضح من قول النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿المُسلم مَن سَلِمَ الناسُ مِن يدهِ ولسانهِ﴾

---

[1] البحوث الرجالية/ماجد الغرباوي/ص٣٩٧

أقول: مُمكِن أن تكون هناك مُكوِّنات ومجتمعات مُؤمِنة بالإيمان كنظرية وعمل، وكذلك مُؤمِنة بالإسلام كفكر وكسلوك، ومُؤمِنة بالإنسان، وقيمة الإنسان، وحقوق الإنسان، ومكَانة الإنسان.. مُؤمِنة بالوطن، وأهمِّيَّة الوطن، وأنَّ الإنسان وجوده بهُوِيِّته، يعني بوطنه، ومَن لا وطن له لا وجود له، ومَن لا هُوِيَّة له، يبقى كالريشة في الهواء.

ولكن مع هذا يبقى الإنسان ليس ملائكياً، ويبقى المجتمع في المُتكوِّن من هذا الإنسان والإنسان الآخر، ليس مجتمعاً متكاملاً.

هنا، تأتي الصورة المطلوبة قرآنياً لكيفية التعامل مع المجتمع، وهو في هذه الصورة... وهذه الصورة هي صورة واقعية، وليست صورة فرضية، ولا افتراضية، وإنَّما هي حقيقة.

فالمجتمع الملائكي خاصٌّ بالملائكة، وخاصٌّ من حيث الضمانُ الإلهيُّ بالمعصوم، الذي عَصَمَه الله‌ﷻ من الأخطاء.. أمَّا غير أولئك، يعني: كلُّ مكونات المجتمع هي قابلة لأن تُخطئ، ولهذا يقول النَّبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿كلُّ ابن آدم خطَّاء وخير الخطَّائين التوَّابون﴾[1]

ولكن كيف التعامل مع هؤلاء؟!..

الله‌ﷻ في توجيهه للنَّبيِّ الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم)، وللأنبياء(عليهم السلام) بشكل عام، لِحَمَلَة الرسالة بشكل عام، وكلٌّ

[1] سُنَن الترمذي/ج٤/ص٧٠

هؤلاء هم حَمَلَة السلام، الأنبياء، المرسلون، الأئمَّة، الصحابة، العلماء، المُوجِّهون، المُبلِّغون، كلّ قدوات المجتمع هم حَمَلَة سلام للمجتمع، ومَن لم يكنْ حاملاً لرسالة السلام فهو ليس حاملاً لرسالة إلهية إنسانية وطنية، ومَن لم يكن حاملاً لرسالة السلام لا يصلح أن يكون قدوة لبقية أفراد المجتمع.

الفصل الثاني

المبحث الثاني

منهج القرآن.. في تحقيق السلام

منهج القرآن.. في تحقيق السلام

القرآن الكريم يُعطِينا صورة لكيفية التعامل مع المجتمع إذا كان بهذه المواصفات.. بالتأكيد، إنَّ المجتمعات تختلف بدرجات (قلَّة وكثرة) في مسألة وجود السلبيات أو الانحرافات أو الأخطاء أو ما شابه وشاكل ذلك، ولكن بشكل عام: لابدَّ أن نحمل في أساس تعاملنا مبدأ السلام، وأن نترجم في دعوتنا إلى الله ﷻ ودعوتنا إلى الإنسان وحقوقه والعلاقة مع الآخر: إنّها ثقافة السلام، ونحن لابدَّ أن نحمل مع كلِّ الآخر ثقافة السلام العملي، هذه الصورة القرآنية في كيفية التعامل مع الآخر، تقول لِمَن يحمل رسالة السلام:

لا تلتفتْ إلى أخطاء الآخرين، وتجعل نفسك قيِّماً عليهم، وتُحاسبْهم على كلِّ أخطائهم.. فمن الممكن أن تذكر الأخطاء في المجتمع، وهذه الأخطاء تُؤدِّي إلى سلبيات، وهذه السلبيات تُؤدِّي إلى تَفكُّك فِكْر الإنسان، تفكُّك أسرة الإنسان، تفكُّك المجتمع، تذكر ما فيها وما لها من سلبيات، ولكن لا تجعلْ نفسك قيِّماً عليهم،فإنَّ القيمومة لله ﷻ وحده، للخالق، أمَّا أنت أيُّها الإنسان، أنت يا حامل الرسالة، فأنتَ مُوجِّه، أنتَ مُبلِّغ، أنتَ مُذكِّر، ولستَ بمتسلِّط عليهم.

دائماً فكرة التسلُّط وفكرة الآمرية من الإنسان على الإنسان الآخر تُبعِدنا عن مفهوم السلام، وثقافة السلام، ومبدأ السلام.

لتقريب هذه الفكرة نقول:

النَّبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم) بُعِث إلى مجتمعٍ مملوءٍ بالسلبيات، ولكن الله ﷻ يقول لنبيِّه(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّه لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1]

يعني: هذا المجتمع المملوء بالسلبيات، لكان قد أنفضَّ من حولك ﴿لَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾، ولكن لأنَّك ليِّن، لأنَّك تحمل السلام، واللِّين جزء من أجزاء السلام، لا يمكن أن يحمل السلام إلاَّ من يحمل اللِّين، من يتَّصِف باللِّين، فلو لم يكن مِمَّن يستعمل اللِّين في تصرفه مع مجتمعه، مع كلِّ ما فيه من انحرافات، لكانوا قد انفضُّوا عنه.. ولكن باللِّين الذي هو صورة وجزء من أجزاء السلام قد تمكَّن أن يجمع مجتمعه، وأن يعمل من أجل إصلاحه، وأصلح ما يُمكِن إصلاحه، من دون تسلُّط، ومن دون محاسبة فردية للأشخاص.

فدائماً الالتفات إلى أخطاء الآخرين الخاصَّة ومحاسبتهم عليها، الأمر الذي يُبعِدك عن التعامل معهم، إلاَّ إذا كان الآخر قد جاءك وبيَّن لك ما يعيش من سلبية معيَّنة في سلوكه، في أخلاقه،

---

[1] سورة آل عمران/آية/١٥٩.

في تصرُّفاته، عند ذلك ممكن أن تُفصِّل في معالجة هذه السلبية. أمَّا غير ذلك فعليك أن ترى السلبيات وتتكلَّم بشكل عام.. تذكر ما في هذه السلبيات من سيئات وما تُنتِجه كذلك من سلبيات.

الآية القرآنية تكشف عن صورةٍ مُشرقةٍ لمجتمع مؤمن، هذا المجتمع المؤمن مرتبط بالله ﷻ، ودائماً داوفعه إلهية، ربَّانية، وأهدافه إلهية وربَّانية، ولكن هل هذا يعني أنَّهم ملائكة؟.. كلاَّ.

لكن في نفس الوقت، من الممكن أن يُخطِئُوا وأن يَبتعِدوا عن الاستقامة، عن الصواب.. لو حصل هذا، فالمطلوب: البقاء معهم بسلام، وأن تتعامل معهم بسلام، ألاَّ تطردهم، ألاَّ تُبعِدهم، ألاَّ تبتعدَ عنهم، وانظُر دائماً إلى الإيجابيات التي فيهم، انظُر إلى محاسنهم وهي كثيرة، وإن كانت هناك بعض السلبيات.

من أجل أن تكون حاملاً للسلام، لا تُفارقْه مع الجميع، وضمن كلِّ المكونات، وضمن كلِّ الصور الاجتماعية الموجودة.

مَثَل قرآني.. لتحقيق السلام

الآية الكريمة في سورة الأنعام، والتي تقول:-

﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]

[1] سورة الأنعام/آية/٥٢.

شريحةٌ ومُكوِّنٌ من المؤمنين بـاللهﷻ، يعملـون مـن أجـل مرضاة اللهﷻ، وهذا واضح (**الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**)، علاقتهم مع اللهﷻ مستمرة، وهناك ارتبـاط فيمـا بينهم وبين اللهﷻ، ولهذا يريدون وجهه، ولكن هل هؤلاء ملائكة، لا يُخطِئُون؟!..

القرآن الكريم يُؤكِّد لنا: هؤلاء ليسوا بملائكة، ومن الممكـن أن يُخطِئُوا، ولهذا (**مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ**)، كما أنَّهم لـيس من حقِّهم أن يحاسبوك، وإذا فعلتَ شيئاً من ذلك، فتكون قد ظلمـت الرسالة التي تحملها، التي هي السلام، وظلمـتَ المجتمـع الـذي تعيش به، يعني: ابتعدت عن السلام.

بعد ذلك تُعطي السورةُ، صورةً مـن صُـور وجـود بعـض السلبيات عند بعض مكونات المجتمع فيما بينها، عندما تقول آيـة أخرى:-

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾[٢]

المجتمع دائماً فيه طبقات، طبقات من حيث العلم، طبقات مـن حيث الجاه، طبقات من حيث المال، فمن جملة ما يحصل في بعض مُكوِّنات المجتمع هو: تصوُّر البعض من أنَّ هؤلاء مفضَّلون عليهم. مَن أعطاه اللهﷻ العلم الأكثر، أو الجاه الأكثر، أو المال الأكثـر، أو

---

[٢] سورة الأنعام/آية/٥٣.

ما شابه وشاكل من النِّعم الإلهية، والله ﷻ يريد أن يقول لهم: هؤلاء أخذوا الأكثر لأنَّهم كانوا من الشاكرين، ولهذا يقول:-

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾

دائماً الشكر العملي لله ﷻ يقتضي النَّماء، يقتضي الزيادة، ولهذا هناك نصٌّ قرآني آخر:-

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]

فدائماً الشكر العملي لله ﷻ يقتضي النَّماء، الزيادة، فَمَن كان له علم، ومَن كان شاكراً لله ﷻ متواضعاً للناس، فبالتأكيد سيزداد علماً، ويفتح الله (تَعَالَى) له أبواباً للعلم.. كذلك مَن كان له جاه، وكان باذلاً لجاهه من أجل الآخرين، خدمة للآخرين، فالله ﷻ يرفع جاهه درجات، وكذلك المال، وكذلك بقية النِّعَم الموجودة.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾

المطلوب: التعامل مع كلِّ هذه الصور المجتمعية بالسلام.

الرحمةُ.. منبع السلام

تقول الآية الكريمة:-

﴿وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]

---

[1] سورة إبراهيم/آية/٧.

[1] سورة الأنعام/آية/٥٤.

أولاً: تتعامل معهم بالسلام.

ثانياً: تُعطِيهم الصورة المُبشِّرة في علاقتهم مع اللهﷻ، وهي: صورة الرحمة، بعد أن تقول لهم: (**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**)، وتقول أيضاً: (**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**).

ما داموا جاؤوك وأرادوا منك الرجوع إلى اللهﷻ والتكفير عن أخطائهم، إذن:

أولاً: عامِلْهم بالسلام.

ثانياً: افتحْ لهم باب التبشير بالرحمة.

ثالثاً: شجِّعهم ووجّههم لِيكونَ إيمانُهم مُقترِناً بالعمل الصالح، بذلك فإنَّ اللهﷻ سيُكفِّر عنهم هذه السيئات، هذه الأخطاء، وهذه السلبيات، باعتبار أنَّ الحسنات يُذهبن السيئات، والاستغفار والتوبة من الحسنات التي تُذهب السيئات، الإيمان العملي من الحسنات الأساسية التي تُذهب السيئات.

كلُّ ذلك كان ويكون ويتمُّ ويحصل بمبدأ السلام وثقافة السلام.. وهذا ما أراده القرآن الكريم أن يُوضِّحه لنا في هذه الصورة من صور السلام.

أيُّهما أسبق.. السلام أم الرحمة؟!..

هنا يُطرَح سؤال: هل أنَّ السلام هو البداية، والرحمة بعده، أو

أنَّ الرحمة هي البداية، والسلام بعدها؟!..

بحسب فهمي للنصوص القرآنية وتربية النبيِّ (صَلّى اللهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَلَّمَ) للأُمَّة ضمن الأحاديث الشريفة، وكذلك تربية أهل البيت من الأئمَّة المعصومين(عليهم السلام) للإنسان بشكل عام، وللأُمَّة المؤمنة بشكل خاص في أقوالهم ورواياتهم: إنَّ الرحمة هي أساس للسلام، وإذا أردنا أن نُوضِّح بإيجاز ذلك، نقول:

إنَّ الرحمة مسألة داخلية، هذه الرحمة هي التي تُفعِّل الإنسان وقدراته وإمكانياته وطاقاته، ومن ثمَّ أجزاءَه وأعضاءَه من أجل عمل الخير، والذي منه وعلى رأسه: السلام.

ولهذا لابدَّ أن نلتفت إلى ضرورة:

أولاً: اقتران السلام بالرحمة، والرحمة بالسلام.

ثانياً: إنَّ مَن يفقد الرحمة لا يتمكَّن أن يحمل السلام، فهناك ضرورة لِمَن يحمل السلام، الالتفات إلى داوخله وتربية ذاته، تربية نفسه، تربية فكره.

تربية النفس مسألة أساسية في مفردة الرحمة بالتأكيد، ولكن لا يكفي فقط تربية النفس، وإنَّما يحتاج إلى تربية فكر، وتربية الفكر تعني: تثقيف العقل تثقيفاً سليماً عندها يُنتِج الفكر المُثقَّف السليم. عند ذلك يتمكَّن الإنسان (بعد تربيته لنفسه وتربيته وتغذيته لعقله وفكره) أن يكوِّن أساساً متيناً وقويَّاً لِحَمْل رسالة السلام.

لهذا، فكلُّ الأوامر التي جاءت في مفردة الرحمة، يمكن أن

تكون هي تأسيس لمفردة السلام، تهيئة الفرد لِحَمْل رسالة السلام، والقدرة على هذا الحَمْل.

والدليل على ذلك هو: هناك مَن يرغب بالسلام، ولكن الرغبة تبقى محدودة وبشكلها النظري، لا يتمكَّن أن يُظهرها بشكلها العملي، وأن يُجسِّدها في تصرفاته وفي أخلاقه وفي علاقاته مع الآخرين.. والسبب هو: عدم تربية الإنسان نفسه على الرحمة، وعدم تغذية عقله وفكره بأساس من الرحمة، وبالنتيجة:

مفردة الرحمة هي مفردة إلهية، فهو الرحمن وهو الرحيم وهو ذو الرحمة كما يُعبِّر عنه القرآن الكريم.

وقد أُمرنا أن نتخلَّق بأخلاق الله ﷻ، وأُمرنا أن نأخذ بأسماء الله ﷻ التي هي عين ذاته، بأسمائه التي هي صفاتُه الذاتية له (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)، أن نتخلَّق بها بمقدار ما نتمكَّن، أن نسعى لذلك.

ذاتي أكبر.. أم رحمتي؟!...

لأهمية مفردة الرحمة التي هي أساس السلام، لذا نجدها في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة فعن النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿أقربكم مني يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً الذين يألفون ويُؤلَفون﴾[1]

كما وَرَدَ في أحاديث قدسية وأحاديث نبوية في الأمر بالرحمة،

---

[1] الإمام السجاد جهاد وأمجاد/ حسين الحاج/ص١٤٩

ومنها ما وَرَدَ في الحديث:-

﴿ارحمُوا مَن في الأرض، يرحمْك مَن في السماء﴾[٢]

كما وَرَدَ:-

﴿الراحمون يرحمهم الرحمن﴾[٣]

كما وَرَدَ في الكتاب المقدس (العهد الجديد)/ج١/ص٨:-

﴿طوبى للرحماء، لأنَّهم يَرحَمون﴾

يمكن أنَّنا تكلَّمنا في موضوع الرحمة في مجالاتٍ أخلاقيةٍ بشكلٍ مفصَّلٍ وبشكلٍ واسعٍ، ولكن في هذه الصورة القرآنية للسلام، نريد أن نُؤكِّد: ضرورة اقتران السلام بالرحمة، والرحمة بالسلام، وكيف أنَّ أساس القدرة على حَمْل رسالة السلام، هي: الرحمة.

وإنَّما نؤكِّد على ذلك: لأنَّه (بعض أوقات وبعض ظروف وبعض أمكنة) السلام يُخالف بعض (الأنا والذات)، إذن، يحتاج الإنسان لمفردة السلام، بأن يكون أكبر من (الأنا والذات) في داخله، وهنا لا يتمكَّن أن يكون أكبر من (الأنا والذات) في داخله، إلاَّ إذا كانت الرحمة في قلبه، والرحمة في عقله وفكره.

لأنَّه وبإيجاز: السلام وحَمْل رسالة السلام في كثير من الأوقات يحتاج إلى العفو، والعفو مفردة رحمانية، حَمْل رسالة السلام يحتاج إلى:-

---

(١) الأسماء والصفات/أحمد بن الحسين البيهقي/د٢/ص٥٨٢

(٣) أضواء البيان/الشنقيطي/ج٨/ص٥٣٣

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١]

المرحلة الأولى: عدم الردِّ بالمثل، وهو: كظم الغيظ.

المرحلة الثانية: أعلى وهي: العفو، وهو درجة من درجات الرحمة.

المرحلة الثالثة من درجات الرحمة: وهي الأعلى: هي (وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

تَكظِم غيظك فتكون تلك درجة من درجات تحقيقك للسلام، تعفو عمَّن أساء سواءاً كان فرداً أو جماعة. فكُلُّ درجة من السلام تُقدِّمها للآخرين وتكون أعلى من سابقتها، فإنَّك تُحسِن للآخرين، أكثر وبذلك تحصل على درجة أعلى للسلام.

[١] سورة آل عمران/آية/١٣٤.

الفصل الثاني

المبحث الثالث

قدوات.. السلام

قُـدوات..السلام

هكذا كانت سيرة النَّبيِّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَـلَّمَ) مـن بدايـة حَمْلـه للرسالة وإلى نهاية عُمُره الشريف، حَمْله للسلام: بأن يكظم غيظه، لأنَّه مملوء رحمة.. فهو يكظم غيظه، ويعفو عن الآخرين، ومن ثمَّ يُحسِن إليهم، وهكذا كان الأئمَّة الطاهرون(عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ)، وهكـذا كـان الصحابة الأبرار المنتجبون، وهكذا الكثير من سلفنا الصالح، مـن الأدلاَّء إلى الله..

الحقيقة، أنَّ معنى (الأدلاَّء إلى الله)، الله ﷻ ليس بجسم حتَّـى يَدلُّون إليه كذات وكجسم، وإنَّما الله ﷻ منهج، الله ﷻ سلوك، الله ﷻ طريق، الله ﷻ حياة، الله ﷻ: التعامل مع كلِّ الكون، وأولها: التعامل مع الإنسان.

وهذه الصورة نفهمها من هذه الفقرة من الآية الكريمة:-

﴿وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]

فنرى هنا اقتران السلام بالرحمة، بالنسبة لله ﷻ، صفاته عين ذاته، ولهذا لا يمكن أن تكون هناك صفة أولـى نفسـية، وصـفة

---

[1] سورة الأنعام/آية/٥٤.

أخرى خارجية وحياتية، فوجود الرحمة هي كوجود السلام.

أمَّا بالنسبة للإنسان فيحتاج إلى الرحمة أولاً، ومن ثمَّ القدرة على حَمْل رسالة السلام وتجسيد السلام ما بينه وبين الآخرين.

متى.. أقبل دعوة السِّلم؟!..

تأكيداً لمفهوم الرحمة، وحَمْل رسالة السلام، والتي تعني: احترام حقوق الإنسان، وحياة الإنسان، وسلامة الإنسان، واحترام ما بينك وما بينه من عهود ومن مواثيق، والمطلوب من الإنسان الذي يحمل الرحمة في داخله، ورسالة السلام في حياته:

ألاَّ يَنقضَ عهداً ولا يخون ميثاقاً.. فاحترام العهد والميثاق من احترامك الإنسان الآخر، فبمقدار ما تحترم الإنسان الآخر فإنَّك تحترم الميثاق الذي بينك وبينه، والعهد الذي ارتبطتَ به معه.

فيمكن أن تكون هناك بعض المشاجرات، بعض المشاحنات، بعض العداوات كمجتمع، والقرآن يلتفت إلى كلِّ الصور الممكنة في المجتمع، الرسالة الإلهية رسالة واقعية، لأنَّها رسالة جاءت من أجل بناء الحياة، بناء الحياة على أساس السلام، وليس على أساس العدوان، على أساس حقوق الإنسان، وليس على أساس إهدار كرامة الإنسان، ولهذا يُؤكِّد لنا القرآن الكريم ضرورة احترام المواثيق والعهود.

ففي حالة حدوث أيِّ ظرف غير طبيعي ما بين طرف وطرف

آخر، بين مجتمع ومجتمع آخر، لابدَّ أن نلتفت إلى ذلك المجتمع، وإلى مكوّنات ذلك المجتمع، ولابدَّ أن نلتزم بعهودنا ومواثيقنا مع بعض مكونات ذلك المجتمع، وألاَّ ندعَ المواثيق والعهود خلف ظهورنا، وألاَّ نُهمِّش ما بيننا وبينهم من عهود ومواثيق.

كلُّ ذلك محاولة من الإسلام الحبيب أن يُقلِّص مساحة الخلاف، وأن يُوسِّع مساحة السلام أكثر ما يمكن ما بينك وبين الآخر، فرداً أو جماعةً أو مجتمعاً.. خصوصاً أنَّ هذا الآخر كان ما بينك وبينه عهداً وميثاقاً. وخصوصاً أنَّ هذا الآخر الذي بينك وبينه عهداً وميثاقاً، يمكن أن يكون على علاقة غير حسنة مع أولئك الذين عادوك، والذين يريدون الوقيعة بك.

الإسلام يريد منَّا أن نكون موضوعيين، وحدة المكان لا تعني وحدة مَن فيه، وهناك صور كثيرة يمكن أن تذكر لهذه الحالة، ولكن نُعطِيها كقاعدة ونقول: وحدة المكان لا تعني وحدة مَن فيه.

وبعد كلِّ هذا:

لو حصل ما بينك وبين الآخر، ما بينك كفرد، وما بينك كجماعة مع الفرد الآخر أو الجماعة الأخرى، شيئاً من الخلاف أوصله إلى العداء، ولكن تراجَع الآخر، وطلب منك السِّلْم، فاذهب إلى السِّلْم، لماذا؟!.. لأنَّك أنت تحمل رسالة السلام، لأنَّ منهجك الإلهي الإنساني منهج أساسه: السِّلْم والسلام..

ضمن هذه الأجواء نعيش هذه الصورة القرآنية كما وَرَدَت في

سورة النساء والتي تقول:-

﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾[1]

مَبحَث تفسيري

وقد ذكرنا في فصل التفسير المسترسل الذي جاء في تفسيرنا (البيان والتبيان في تفسير وتنزيل القرآن)/ج٣٣/ص٢٠٦ ما يلي:-

((﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ أي الذين يلجأون ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ عهد ﴿أَوْ جَآؤُوكُمْ﴾ ممسِكين من قتالكم وقتال قومهم، فإن اعتزلوكم، ﴿حَصِرَتْ﴾ ضاقت ﴿صُدُورُهُمْ﴾ عن ﴿أَن يُقَاتِلُوكُمْ﴾ أو كراهة أن يقاتلوكم مع قومهم ﴿أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بتقويته قلوبهم ﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ ولكنَّه لم يَشأْ فقذف في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ الانقياد ﴿فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ بأخذ وقتل)) (انتهى).

---

[1] سورة النساء/آية/٩٠.

لقد وَرَدَ في (التفسير الكاشف)/محمد جواد مغنية/ج٢/ص٤٠٢ ما يلي:-

((﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾[1] يريد بهذا جَلَّ وَعَلاَ أنَّ مَن يلتجئ من أولئك المنافقين إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد في المهادنة وترك القتال، أنَّ هذا اللاجئ يُترَك لا يُؤسَر ولا يُقتَل، لأنَّه والحال هذه يكون مُسالِماً للمسلمين، تماماً كالذين التجأ إليهم، فَيعامَل معاملتهم في عدم التعرض له.. ومن المفيد أن ننقل ما قاله الرازي هنا:

(... أي أنَّ الذين يتحرَّجون أن يحاربوا المسلمين مع قومهم المشركين، أو يحاربوا قومهم مع المسلمين، وجاءوا إلى النَّبي (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يطلبون منه الرضا بالوقوف على الحياد، لا معه ولا عليه، إنَّ هؤلاء يُترَكون أيضاً، لا يُقتَل ولا يُؤسَر أحد منهم، لأنَّهم غير محاربين. وخير مثالٍ يُفسِّر هذه الآية ما جاء في مَجمَع البيان: أنَّ جماعة من أشجع (قبيلة اسمها أشجع) جاؤوا إلى النبي(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وقالوا له: إنَّ دارنا قريبة من دارك، وقد كرهنا حربك، وحرب قومنا، وأتينا لنوادعك، فقَبِل منهم، ووادعهم. فرجعوا إلى بلادهم. ولا شيء أقوى وأصدق من هذا في الدلالة على أنَّ الإسلام سلم لِمَن سالَمه، وحرب على مَن حاربه، ﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾. إنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ لا يتدخَّل

[1] سورة النساء/آية/٩٠.

بمشيئته التكوينية في شيء من أمور الناس، وإنَّما أراد بقوله هذا أن يُذكِّر المسلمين بفضله عليهم.. وأنَّه كان من الممكن أن يَنضمَّ هؤلاء إلى أعداء المسلمين، ولكنَّ الله سُبْحَانَهُ صرفهم عن ذلك بوقوفهم على الحياد، فقوله: ﴿**وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ**﴾. معناه لجرأهم عليكم، ولم يجعلْ لكم هيبة في نفوسهم تبعثهم على طلب الموادعة والمتاركة ﴿**فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً**﴾، إلى غير ذلك من الآيات التي تدعو إلى المحبَّة والأُخوَّة والمساواة والتعاون على كل ما فيه صلاح للناس بجهة من الجهات... وأروع ما في الإسلام أنَّه يعتبر الأعمال الإنسانية من صميم الدين وصُلْبه، بل يعتبرها السبيل الوحيد إلى اللَّه)) (انتهى).

هؤلاء الذين أسميناهم (مُكوِّناً ضمن مكان آخر ومجتمعاً آخر)، الذين بينك وبينهم ميثاق. أن يقاتلوكم مع قومهم، ويعتدوا عليكم مع قومهم، وكأنَّ الله ﷻ يريد أن يعطينا صوراً واضحة لما يمكن أن يكون في المجتمعات ضمن المكونات المتعدِّدة.

بعد ذلك يلفت نظر الناس جميعاً إلى لطف إلهي، وهذا اللطف الإلهي هو: أنَّه لو كان قد سيطر عليهم الشيطان، وسيطرت عليهم أفكار الشرِّ، لكانوا يقاتلونك، ولهذا يقول (سبحانه وتعالى):-

﴿**وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ**

سَبِيلاً﴾

(وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ) يعني: منع الله تَعَالَى سيطرة الشيطان وفكر الشيطان، والشرِّ وأساليب الشرِّ عليهم. ولكن حصَّنهم، ومنعهم بالتحصين، بمنعهم من استجابتهم لِمَا يُلقِيه الشيطان في قلوبهم، في عقولهم، في رُوْعِهم، في نفوسهم.

﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ -(نتيجة عدم استجابتهم لمنهج الشرِّ)- فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾

بمعنى: أنَّهم عندما وصلوا إلى هذه الدرجة، لم يستجيبوا إلى قتالكم، لم يرغبوا بقتالكم، لم يرغبوا بأذاكم، لم يرغبوا بهدر دمائكم، فالمطلوب منكم: أن تعملوا بالسلام..

كأنَّ الإسلام من هنا يريد أن يُبيِّن: الإسلام في حال محاربته مع الآخرين فإنَّ موقفه يكون دفاعياً فقط وليس هجومياً، فإن جاء مَن يهجم علينا وبعد ذلك استثنى، وأراد السلام فلابدَّ أن نستجيب للسلام، ولا نُعطيَ مجالاً لأيِّ نوع من أنواع الاعتداء ما بيننا وبين الآخرين.

ولهذا نرى ضمن نفس التربية الإلهية للأمَّة الإنسانية والأُمَّة المؤمنة، ما جاء في سورة الأنفال:-

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ

﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١]

ذلك هو المنهج القرآني: مَن أراد السلام لابدَّ أن نستجيب له، لأنَّ الرسالة الإلهية هي رسالة السلام، ودائماً وضمن المنهج الإلهي لابدَّ أن نربط كلَّ تصرُّفاتنا وأعمالنا وحياتنا وقراراتنا بالله ﷻ، أن نربطها مع الله ﷻ، ولهذا فالآية تأمر:-

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾

وتؤكِّد ضرورة اقتران: الاستجابة إلى السِّلْم، والجُنوح إلى السِّلْم، مع التوكل على الله ﷻ.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾

وهو من أعلى درجات الارتباط بالله ﷻ.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

لأنَّ الإنسان المؤمن يعلم أنَّ الله ﷻ سميع لما يقوله الإنسان، ويعلم ما في الصدور، كما جاء في قوله تَعَالَى في سورة غافر/آية/١٩:-

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾

تلك صورة من صور السلام، وكيفية التعامل مع الآخر فرداً وجماعة بالسلام، وضرورة الاستجابة إلى السلام، وضمن كلِّ الظروف المكانية والزمانية الصعبة.

---

[١] سورة الأنفال/آية/٦١.

الفصل الثاني

المبحث الرابع

عباد الرحمن.. عباد السلام

نظرةٌ في تفسير البيان والتبيان
في تفسير وتنزيل القرآن

عباد الرحمن.. عباد السلام

ما أروع العلاقة مع اللهﷻ، وما أسعد التعايش مع اللهﷻ ومع منهجه العظيم، ومع تربيته العملية لحبيبه الإنسان، وكيف أنَّ اللهﷻ في هذه التربية للإنسان، وكأنَّه يقوده دائماً وبخطوات واثقة وقويَّة إلى سلامته، فهو يقوده دائماً إلى السلام: السلام الفكري، السلام القولي، السلام العملي. السلام الذي يتمثَّل فيما بين الإنسان وبين ربِّه، السلام الذي يستحضره بقلبه ونفسه وفكره وعقله، السلام الذي يتمثَّل بلسانه وقوله وكلامه، وفي كلِّ لفظ من ألفاظه، فَمَن يتعايش مع اللهﷻ، يحمل الحبَّ للهﷻ والحبَّ للإنسان في كلِّ كلمة يقولها، وكأنَّ كلَّ كلمة يتلفَّظ بها، تستبطن العظيم من الحبِّ للهﷻ، والكبير من الحبِّ للإنسان.

فهو دائماً في معايشة متواصلة مع السلام المُطلَق، الذي هو اللهﷻ، مع واجب الوجود، ودائماً ينطلق هذا الإنسان المتعايش مع اللهﷻ، من السلام الذي هو واجب الوجود (المطلق) إلى السلام الممكن الوجود والمُحدَّد الذي هو الإنسان.

كلما تتأكَّد عُرى العلاقة ما بين الإنسان وبين اللهﷻ، يكون الإنسان أقدر على تجسيد السلام في تعامله مع الآخرين. لأنَّ المطلوب كما نُؤكِّد دائماً: ليس السلام النظري، والسلام بالفكر،

وإنَّما المطلوب: السلام الذي ينطلق من الفكر إيماناً، ومن اللسان لفظاً وقولاً، ومن الأجزاء سلوكاً وعملاً وأخلاقاً.. من أجل بناء حياة الإنسان، من أجل بناء حياة السلام، من أجل بناء الحياة الإلهية.

وهكذا نستعرض صوراً إلهية قرآنية للسلام وتعامل الإنسان مع الآخر فرداً وجماعةً بالسلام. ونتيجة لمعايشة الإنسان المستمرَّة مع الله ﷻ، والعلاقة الوثيقة بين الإنسان المخلوق والله ﷻ الخالق، بين الإنسان الممكن الوجود وبين الله ﷻ الواجب الوجود.

العبودية لله ﷻ.. مُنطلَق السلام

الآيات التي سنذكرها تُعبِّر عن العلاقة ما بين الإنسان وبين الله ﷻ، والتي من شأنها أن تجعل الإنسان حاملاً لمبدأ السلام بفكره وقوله، ومترجماً للسلام بعمله وسلوكه.

هذه الآيات الكريمة وضمن التربية الإلهية للإنسان، وصولاً به إلى السلام، تبتدِئ هذه الآيات بضرورة العبودية لله ﷻ، وكما بيَّنَّا: أنَّ الإنسان يشعر بعبوديته لله ﷻ، وضرورة تعايشه مع الله ﷻ، مع السلام المُطلَق، ومن ثم ينطلق إلى السلام المحدود.

فدائماً عدم إيمان الإنسان بالله ﷻ، وعدم الاعتراف بعبوديته لله ﷻ، ذلك ما يُبعده عن مبدأ السلام، وثقافة السلام.

ودائماً عدم الاعتراف بالعبودية يعني: التكبُّر، عدم الاذعان

للواقع الذي هو يُقرُّه في داخله، يُقرُّه في قرارة نفسه، ومُفردة السلام تحتاج إلى درجة ليست بضئيلة ولا بضعيفة من الصدق، وهذا الصدق أول ما يكون، لابدَّ أن يكون ما بين الإنسان وربِّه، ما بين المخلوق وخالقه، وما بين الكائن ومُكوِّنه.

لهذا فالآيات الكريمة تبتدِئ في تأكيد ضرورة مفهوم العبودية ما بين الإنسان وبين الله ﷻ، هذه العبودية التي تعطيه القوة، هذه العبودية التي تعطيه الرحمة، وكما ذكرنا في إحدى الصور القرآنية للسلام: لا يمكن أن يتمَّ السلام إلاَّ بالرحمة، ولهذا نرى أنَّ الآيات الكريمة تبتدِئ بضرورة وأهمية العلاقة السليمة ما بين الإنسان وبين الله ﷻ، هذه العلاقة هي التي تعطيه الرحمة، ولهذا أكَّدت الآية الكريمة على هذا الجانب، عندما تقول:-

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾[1]

ولم تقُل (وعباد الله)، ولم تقُل الآية: (وعباد الحيِّ أو القيَّوم) أو بقية أسماء الله الحسنى، وإنَّما اختارت:-

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ...﴾

هذه العبودية ما بين الإنسان وبين الله ﷻ تُزَرِّق له الرحمة، تعطيه إمدادات من الرحمة.. فيفرض أنَّ الإنسان بمقدار ما يعيش إمدادات الرحمة الإلهية عليه، يكون قادراً على حَمْل الرحمة

---

[1] سورة الفرقان/آية/٦٣.

للآخرين، وبذلك يجعل ذلك مُقدِّمة لحَمْله للسلام الداخلي.

لقد جاء في تفسير "البيان والتبيان في تفسير وتنزيل القرآن"/ج١٠/ص٢١ وما بعدها ما يلي:-

((﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ من العبودية التي هي إظهار التذلُّل والخضوع، مع القيام بمقتضياتها من حُسْن الطاعة وجميل الانقياد والامتثال والتعبير عن المؤمنين الصادقين بلفظ:

(عباد) وإضافتهم إلى (الرحمن)، فيه تقدير لإيمانهم، وحُسْن أعمالهم وتشريف لهم، وتبكيت للمشركين الذين أنكروا اسْم الرحمن، وأعرضوا عن السجود له.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ معناه: يسيرون في تقلُّبهم لتحصيل معايشهم، والسعي في حاجاتهم سيراً هيِّناً ليِّناً لا بغْيَ فيه ولا استعلاء فكلمة ﴿هَوْنًا﴾ مصدر، وقع وصفاً لموصوفٍ محذوف.

وقوله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ معناه: إذا تكلَّم معهم السفهاء بالسوء أو بكلام يؤذيهم ويكرهون سماعه أعرضوا عنهم تحلُّماً وسماحةً، وقالوا ردَّاً عليهم: تسلُّماً منكم ومتاركةً لكم، فليس معنى ﴿سَلاَمًا﴾ السلام المعروف، لأنَّ الآية في مشركي مكة، فلا سلام عليهم، والذي يظهر من الأسلوب، أنَّ المفهوم من قولهم ﴿سَلاَمًا﴾ هو سداد الردِّ مع البُعْد عن التفحُّش ومجاراة السفهاء)) (انتهى).

((ومن هنا أيضاً، نفهم معنى قوله تَعَالَى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا**﴾[١] فإنَّ هذا الجواب (السلام) تعبير آخر عن ردَّة الفعل الهادئة والمُتعالية في الوقت عينه عن نمطهم السفهي في مواجهة الآخرين، وذلك أنَّ واحدة من أخطر مظاهر العداء مع الآخر، هي أن يتأثَّر الإنسان بخصمه، فيجرُّه خصمه لكي يفعل أفعاله وينزل إلى منزلته، فيستخفَّ العدوُّ عقلنا لخِفَّة عقله، ويُفقِدنا اتِّزاننا بفوضويته وعَبَثيَّته. هنا، لابدَّ أن يكون الجواب (سلام)، أي: لا حرْبَ بيننا بالمعنى الذي تريده أنتَ.)) [٢]

لهذا نرى أنَّ هذه المجموعة الكريمة من الآيات والتي تعطينا صورة رائعة عن السلام العملي، ومقدِّمات السلام، وضروريات السلام، وكيف نبني السلام في أنفسنا، من أجل أن نتعامل به مع الآخر فرداً وجماعة ولهذا تبتدئ هذه المجموعة من الآيات:-

﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ...**﴾

لأنَّ إمدادات الرحمة الإلهية متواصلة إليهم، ملتفتين إلى درجة معيَّنة لهذه الإمدادات، وبمقدار التفاتهم إلى هذه الإمدادات، تكون قدرة استيعابهم لها، وتلقِّيهم إيَّاها، ومعايشتهم معها، والقدرة على تفعيلها في حياتهم، ضمن علاقتهم مع الآخر، فيكونون رحماء

---

[١] سورة الفرقان/آية/٦٣.

[٢] إضاءات في الفكر والدين والاجتماع/حيدر حب الله/ج١/ص(١٤-١٥)

أولاً من أجل أن يُؤهَّلوا لحَمْل السلام للآخرين فرداً وجماعة ثانياً.

عندما تنعُم الأرض.. بالسلام

بمقدار شعور عباد الرحمن بالعبودية لله ﷻ والحاجة إلى الله ﷻ، فإنَّهم يذكرون دائماً البداية لهم، فهم يذكرون دائماً ضرورة احترام الأرض واحترام التراب، ويذكرون دائماً قول الله ﷻ:-

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[١]

ولهذا يكون هؤلاء (عباد الرحمن ويمشون على الأرض هوناً) لأنَّ الله ﷻ خالقهم ومكوِّنهم، أخبرهم أنَّهم منها وإليها، ومن ثمَّ ينشرون منها كذلك.

هنا، لابدَّ من الالتفات إلى أمرين أساسيين:

الأمر الأول: العبودية لله ﷻ، والتفاعل مع الرحمة الإلهية، وكيفية تربية أنفسنا على ذلك، وضرورة استفادتنا من هذه العبودية، وكيف نُربِّي دواخلنا وظواهرنا على أساس هذه العبودية، وكيف نجعل من هذه العبودية عنصر تربية، وعنصر قوة.

الأمر الثاني: كيف أنَّ الإنسان الذي يعيش العبودية ما بينه وبين ربِّه، والعلاقة المتينة والوثيقة، والمعايشة المتواصلة ما بينه وبين خالقه، كيف يعيش حالة السلام في داخله، وتتمثَّل هذه

---

[١] سورة طه/آية/٥٥.

الحالة، حتَّى مع الأرض التي يمشي عليها، وكيف أنَّ هذه العبودية وضمن الإمدادات الإلهية الرحمانية إليه تجعله مُسالِماً مع الأرض، يتعامل مع الأرض بسلام، ولهذا يكون سيره على الأرض سيراً بهدوء، سيراً بسكينة، بتواضع، بأخلاق.

يستشعر اللُّطف الإلهي دائماً في سيره، يستشعر الإمدادات الرحمانية من ربِّه، فيرحم كلَّ شيء حتَّى أرضه، فلا يتكبَّر ولا يتنمَّر ولا يستعلي، بمقدار ما يتعايش مع الأرض ويمشي الهدوء وعدم التكبُّر مع الأرض، فإنَّه ينتبه إلى مبتدئه وإلى منتهاه.

إنَّ الإنسان يبتعد عن السلام عندما يتجبَّر في داخله، ودائماً المتجبِّر في داخله يستكبر على كلِّ أنواع الحقِّ وصور الحقِّ، ولهذا يستكبر على السلام، والاستجابة للسلام، ويحاول ألاَّ يقتنع بالسلام، وإن كان داخله يجرُّه إلى السلام.

أمَّا عندما يعيش حالة احترام الأرض، ويعيش أنَّه هو منها وسيعود إليها، وسيُنشَر منها كذلك، عند ذلك يعيش حالة الرحمة مع الأرض، وعندما يعيش حالة الرحمة مع الأرض يعني: يصل إلى درجة السلام مع الأرض، وهذا السلام مع الأرض، يُسمَّى اليوم بـ(السلام مع البيئة) وأهمية السلام مع البيئة، لأنَّ البيئة دائماً تتكوَّن من عدم الاعتداء على الأرض وعلى الفضاء، فاحترام الأرض، الرحمة بالأرض، السلام مع الأرض، يعني: احترام البيئة، ولهذا عباد الرحمن الذين يأخذون إمدادات الرحمة من الله أول ما

يُجسِّدونها في علاقتهم مع الأرض، ولهذا تقول الآية:-

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾

إنسان السلام.. على أرض السلام

بعد ذلك أول ما تجسَّدت ثقافة الرحمة نتيجة العبودية، والتي تُوصِل الإنسان إلى مبدأ السلام، والقدرة على حَمْل ثقافة السلام في تعامله مع الآخر، ولهذا يَصِل إلى صورة مشرقة للتعامل بالسلام مع الآخر فرداً وجماعة ولهذا عندما نعود إلى الآيات الكريمة ونقرأ:-

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾

يعني: سلام مع الأرض، وقد جاء في (إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن)/الشيخ محمد السبزواري النجفي/ص٣٧٤ ما يلي:-

((﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا.... ﴾ أي: بالسَّكينة والوقار والطاعة غير أشِرِين ولا مَرِحين ولا مُتكبِّرين ولا مُفسِدين.)) (انتهى).

بعد ذلك: سلام على أهمِّ مَن هو فوق الأرض الذي هو: الإنسان، الذي كرَّمه الله ﷻ عندما قال:-

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[1]

الذي جعل حياته حياة بشرية، وقَتْله من دون حقٍّ قَتْل

[1] سورة الإسراء/آية/٧٠.

للبشرية، وجعل اللهﷻ الإنسان خليفته لِحَمْل مسؤوليته، ولِحَمْل الأمانة في هذا الوجود، ومن أجل إعمار هذا الكون، فهو يتعامل مع الأرض أولاً، ومع مَن فوق الأرض وأشرف مَن فوق الأرض وهو الإنسان، فيتعامل معه بسلام.

هنا لابدَّ أن نلتفت إلى أنَّ الآية الكريمة تُعطِينا صورة خاصة للتعامل، لظرف خاص، ولحالة يمكن لم يلتفت إليها الكثيرون، وهي: حالة الإنسان الجاهل.. فمرَّة يكون هذا الإنسان نتيجة عدم تعلُّمه، فهو جاهل، ومرة يكون هذا الإنسان جاهل نتيجة أنَّه سار في تعلُّمه في طريق خاطئ. ولهذا تبنَّى فكراً خاطئاً، تبنَّى رأياً خاطئاً، تبنَّى تصورات عن الحياة خاطئة، تبنَّى أسلوباً لبناء الإنسان خاطئاً، تبنَّى نوعاً من المسؤولية تجاه الآخرين بشكل خاطئ، ولكنه جاهل.

هذا الجهل الذي أوصله إلى فكر خاطئ وطريق خاطئ وسلوك خاطئ، مرة يكون نتيجة لمحض إرادته، ومرة يكون نتيجة متداخلة ما بين بيئته وإرادته، ولكنه يجهل الحقَّ، يجهل الصواب، ولهذا اختلف عن الإنسان المتبنِّي لثقافة الحقِّ، وثقافة الصواب، وثقافة السلام، وثقافة الرحمة، وثقافة الخير، وثقافة كرامة الإنسان. والآية الكريمة تريد أن تُؤكِّد على أنَّ جهل الآخر بقصد أو من دون قصد، باختياره أو تحت تأثير بيئته، أو نتيجة تفاعل بيئته مع إرادته، ولكنَّه وصل إلى شيء يُعبِّر عن الجهل بالصواب!.. إذن هو

يختلف معك، إذن أنا لا أرتضي فكره، لا أرتضي رأيه، لأنَّه بعيد عن اللهﷻ، بعيد عن الغيب، بعيد عن السماء، بعيد عن الربِّ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى)، وعن تربيته، ولهذا أختلف معه.

هنا، يأتي تفعيل مفردة السلام في تعاملك مع هذا الإنسان (فرداً وجماعة) مع كلِّ ما قدَّمناه، من أنواع الجهل، وصور الجهل، والاختلافات المتعدِّدة ما بين الإنسان الملتزِم والإنسان الجاهل، نرى الآية القرآنية التي تَصِف كيفية التعامل لِمَن يحمل الرحمة وبعدها السلام في تعامله مع الآخرين:-

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾

هنا، لابدَّ من بيان أمور:

الأمر الأول: إنَّ الإنسان المتبنِّي لرسالة السلام الإلهية الإنسانية، لا يمكن أن يُعاديَ الإنسان الآخر الذي يحمل فكراً يختلف عن فكره، وإنَّما لابدَّ أن يكون تعامله مع الآخر بالسلام.

الأمر الثاني: لابدَّ أن نُفرِّق ما بين عدم الرضا بالفكر عن عدم الرضا بالشخص، فيبقى الشخص، الذي لا عداء ما بيني وبينه، ولكن الفكرة المطروحة بيننا أناقشها معه، أحاوره بها ربما لا يمكن أن أقبل بها، ليست لأنَّها تخالف رأيي، ولكن لأنَّها تخالف التربية الإلهية للإنسان.

الأمر الثالث: عندما لا أقبل بالفكرة، لا يتجسَّد ذلك بعدائي

للإنسان، ولا يتجسَّد بأكثر من الحوار معه، بخصوص هذا الرأي أو هذه الفكرة.

الأمر الرابع: ضرورة الافتراق على خير، وعدم الافتراق على أساس عدائي أو عنفي، وهذا واضح من الآية الكريمة.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

لا عداء، ولا عنف، ولا إساءة، بل ولا بغضاء للإنسان، للشخص نفسه، بغضاء للفكرة، ولكن الفكرة ليست هي الإنسان بذاته، الإنسان شيء والفكرة شيء آخر.

وهكذا نستوعب صورة قرآنية رائعة من صور التعامل بالسلام مع الآخر.

خلاصة الفصل الثاني

١-تُبنى العلاقات الإنسانية بفعل التواصل فيما بين الإنسان والآخر، أو بين الإنسان والجماعة، وأول وسيلة للتواصل بين الجميع، هو الرسائل الكلامية التي تُعبِّر عن أفكار المُرسِل إلى المُتلَقِّي، لذا أصبح اللسان الذي يُوصِل الأفكار للآخرين من أهمِّ وأخطر وسائل التواصل الاجتماعي.

٢-القرآن الكريم يُقدِّم لنا نصيحة غاية في الدقَّة والأهمِّيَّة وهي ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، فعندما يتمكَّن الإنسان من السيطرة على نفسه ويُوجِّهها بصورةٍ صحيحةٍ، ويدفع بالتي هي أحسن، فإنَّه يُحسِن التصرُّف مع الآخرين ويُحسِن لنفسه وللمجتمع كذلك.

٣-عندما يُصبِح الفرد صالحاً والمجتمع صالحاً، تكون هناك أعراف مجتمعية صالحة والعكس صحيح.

٤-ثقافة السلام تفرض على الإنسان أن لا يكون قيِّماً على الآخرين، لأنَّ القيمومة مختصَّة بالخالق (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى).

٥-عندما يُخطِئ الإنسان وينتبه إلى خطأه ويعتذر من الطرف الذي أخطأ بحقِّه، فإنَّه يستحقُّ من الله تعالى الرحمة والمغفرة والرضوان.

٦-إنَّ كظم الغيظ في داخل النفس يعني درجة عالية من ضبط النفس والسيطرة على مشاعر الإنسان وبذلك يُحقِّق الفرد درجةً عاليةً من الرحمة بالآخرين.

٧-على الإنسان المؤمن أو الإنسان المُحسِن أو الإنسان ذي الخُلُق الرفيع أن يتعلَّم ممارسة العفو عن المُسيئين إليه وأن يتعالى عن أنانيته ويستوعب الآخرين بالصفح والتسامح والعفو.

٨-لقد كان مثلنا الأعلى رسول الله والأئمَّة الأطهار (عَلَيْهِمُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ) في كلِّ مَناحي الحياة، فهم الذين يُعلِّمونا الخُلُق الرفيع والمعاملة الحسنة والمحبَّة والسلام والتعاون وغير ذلك من الفضائل والمَحاسن الأخلاقية.

٩-يجب أنْ ننظر بإيجابيَّة إلى الطرف الذي بيننا وبينه سوء تفاهم ويجب أن ننظر إلى المُشتركات الإيجابية بين الطرفين من أجل الوصول إلى حالة السلم بين الطرفين، وعكس ذلك، فإنَّ هُوَّة الخِلاف ستتَّسِع وتبدأ مرحلة العداوة والبغضاء بين الطرفين وهذا ما لا يُرضي الله (سُبْحَانَهُ).

١٠-إنَّ أيَّ فكرةٍ خاضعةٍ للنقاش بين طرفين يتحاوران في إطار صحَّة أو عدم صحة تلك الفكرة، بشرط أن لا تكون النتيجة النِّهائية للنقاش، هي القطيعة والعداء والتباغض، وقد قيل قديماً: (اختلاف الرأي لا يُفسِد للودِّ قضية).

الفصل الثالث

ويتكوَّن من أربعة مباحث

المَبحث الأول:

ما بين.. السلام والعفو

المَبحث الثاني:

السلام.. والهدفية

(مبحث تفسيري)

المَبحث الثالث:

السلام.. نُزهة الحياة

(مبحث تفسيري)

الفصل الثالث

المبحث الأول

ما بين.. السلام والعفو

ما بين.. السلام واللَّغْو

هل اهتمَّ الإسلام.. بالسلام؟!..

نصل إلى صورة جديدة من الصور القرآنية للسلام، وكيفية التعامل مع الآخر، وكيف أنَّ السلام هو أساس علاقة الإنسان مع الإنسان الآخر، ضمن المنهج الإلهي، ضمن منهج الرسالة الإلهية، رسالة السماء، ولهذا السلام هو سِمَة كلِّ الديانات السماوية.

يمكن أن نرى أنَّ الإسلام الحبيب، الإسلام العظيم، أكَّد على السلام تأكيداً يفوق كلَّ التأكيدات الأخرى.. ولهذا، الإسلام يؤمن أنَّ السلام (وكما ذكرنا) هو اسْم من أسماء اللهﷻ، ربِّ العالمين لابدَّ أن نؤمن به، ومن هذه الأسماء المباركة ننطلق لبناء حياة كما أرادها اللهﷻ.

فنرى الإسلام اهتمَّ اهتماماً بالغاً في موضوع السلام، ومن ثمَّ اهتمَّ في تهيئة الظروف للسلام ضمن المجتمعات المتعدِّدة، زماناً ومكاناً، في المجتمعات التي تحمل ثقافات متعدِّدة، وتعيش بيئات مختلفة، تعيش ألواناً متعدِّدة، تعيش لغاتٍ متعدِّدة، تعيش أصولاً متعدِّدة.

لهذا، الإسلام رأى (وهو المشرِّع الحكيم) لابدَّ أن يُحيط مفردة السلام بأجواء، بها ومعها يكون حامل السلام قادراً على حَمْل

رسالته، يكون حامل السلام الذي أحبَّ اللهﷻ وآمنَ به، كَرَبٍّ مُرَبٍّ له، لابدَّ أن يلتفت إلى ضروريات السلام، إلى مناخ السلام، إلى محيط السلام.

من صور السلام: إهْمال اللّغو

الإسلام الحبيب جعل من أهمِّ المناخات التي تكون قابلة لمبدأ السلام، وترجمة السلام حياتياً في تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان، هو: عدم اكتراثه، عدم التفاته، عدم إصغائه لمفردة اللغو التي يمكن أن تصدر من أفراد في المجتمع.

المجتمع (وكما بيَّنَّا) فيه ثقافات متعدِّدة، أصول متعدِّدة، قوميات متعدِّدة، ألوان متعدِّدة، مستويات علمية متعدِّدة، كما أنَّ المجتمع ليس كلّ أفراده في حالة نفسية واحدة. بالتأكيد في كلِّ مجتمع، في أيِّ مجتمع، هناك حالات نفسية متأزِّمة بسبب ظروف معيَّنة سلبيات الحياة كثيرة، وكثير من الأوقات، الإنسان لا يستوعب ما يعيش الآخر من سلبيات.

ولهذا إن لم يَعِشْ ثقافة الإعراض وعدم الاهتمام وعدم الاستماع عمَّا يمكن أن يصدر من الآخر، من صور لِلَّغو، في الحقيقة لا يمكن أن يتحقَّق السلام.

لهذا نرى في الجانب التشريعي للإسلام، اعتبر أنَّ اللغو غير موآخذ عليه، ولهذا يقول (سُبْحَانَهُ وتَعَالَى) في مسألة اليمين في

حالة الغضب، واليمين في حالة تعصُّب الإنسان: إنَّ هذا يمين باطل، لا يُؤخَذ به، وليس عليه كفَّارة، نستند في ذلك إلى قول الله ﷻ:-

﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[1]

من هذه القاعدة القرآنية (مع وجود أدلَّة من أحاديث وروايات) انطلق الفقه الإسلامي إلى تعميم:

إنَّ ما يصدر من الإنسان وهو في حالة الغضب، يعني: لا قَصْد، وما دام ليس هناك قَصْد، فلا يُوآخَذ على قوله، فيمينه باطل وطلاقه باطل، إذا حصل في حالة غضب.. والكثير من الأمور التي نذكرها في كتبنا الفقهية، لا تأخذ أحكام الصحة بل أحكام البطلان، نتيجة أنَّها لغو.

وقد ذكرنا في تفسيرنا (البيان والتبيان في تفسير وتنزيل القرآن)/ج٢٩/ص١٩، في مورد تفسير قوله تَعَالَى: ((﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِيَ أَيْمَانِكُمْ﴾ إذا حَنَثْتُم، أي بما يسبق به اللسان من غير عقد معه ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بما واطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وعزرتموه ﴿وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بالعقوبة.)) (انتهى).

كما وَرَد في كتاب (إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن)/الشيخ

---

[1] سورة البقرة/آية/٢٢٥.

محمد السبزواري النجفي/ج١/ص٤١ ما يلي:-

((.... اللغو في الأيمان: ما لا قصد معه، بل يجري على عادة اللسان لقول العرب: لا والله، وبلى والله، لمجرد التأكيد، أي لا يؤاخذكم الله بما لا قصد معه من الحلف، فهو لغو لا فائدة فيه ولا كفَّارة ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: أي بما قصدت قلوبكم وانعقدت عليه، فإنَّ عقد القلب هو كسبه.)) (انتهى).

هذه المفردة (اللغو) تعامل معها الإسلام فأراد أن يُؤكِّد احتماليات وجودها في الحياة المجتمعية، وضرورة أن نلتفت إلى أنَّ هذه السلبية لا تكون سبباً لابتعادنا عن السلام، وعن مفردة السلام، وألاَّ تُعكِّر علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان، وألاَّ تُسيئ إلى تطبيق مبدأ السلام الإنساني ما بين أبناء المجتمع الواحد.

لهذا عندما يُعطِينا الإسلام المجيد صورة للسلام، هذه الصورة تعتمد على عدم الالتفات وعدم الاهتمام بِمَن يصدر منه اللغو.

لأنَّ الكثير من سلبيات المجتمع، وما يحصل في المجتمع من شجار ممكن أن يصل إلى درجات عالية في علاقة الفرد مع أخيه الإنسان، أو علاقة الجماعة مع جماعة أخرى، نتيجة أخذهم واستماعهم بكلمات قاسية صدرت في حالة غضب (أي لغو) من الآخر فرداً أو جماعة.

الإسلام يقول لنا:

نحن لابدَّ أن نحمل السلام، وأن نعمل من أجل السلام، وأن

نبتعد عن كلِّ شيء، من شأنه أن يُعكِّر طريق السلام، ورسالة السلام، وبناء الحياة على أساس السلام، فمن أهمِّ هذه الصور هي: عدم الالتفات إلى اللغو.

العاقل.. والسلام

يُنبِّهنا الإسلام الحبيب عن تفاهة الكلمة الغاضبة، تفاهة اللفظ الذي يخرج من دون قصد، وكيف أنَّ الإنسان فضَّله الله ﷻ على كلِّ مخلوقاته بعقله، ومن منتجات العقل: الإرادة، وكيف أنَّ إيمانه بالله ﷻ دائماً يمسكه عند غضبه، كما وَرَدَ في كثير من الأحاديث الشريفة عن النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، والروايات المباركة عن الأئمَّة المعصومين(عليهم السلام):-

عن الإمام جعفر بن محمَّد الصادق عليه السلام:-

﴿مَن لم يملك غضبه، لم يملِك عقله﴾[١]

وفي بعضها تشير إلى أنَّ من علامات المؤمن ألاَّ يُوقِعه غضبه في معصية، في حرام، في خطأ.

عن الإمام جعفر بن محمَّد الصادق عليه السلام:-

﴿مَن لم يملك غضبه، لم يملِك عقله﴾[٢]

الإسلام العظيم من أجل أن يحفظ المجتمع، يتكلَّم مع الإنسان

---

[١] أخلاق النبي (ص) وأهل بيته (ع)/الشيخ باقر شريف القرشي/ج١/ص١٨٦

[٢] المصدر السابق

الطبيعي، الذي يستمع إلى منطق السلام الذي هو الله ﷻ.. يخاطب الإنسان الموضوعي ويقول له: لا تلتفت، لا تهتم لمَن لا يملك عقله، فهو في حالة غضب وقال ما قال.

لكن في نفس الوقت، وفي هذه الحالة، الإسلام يُؤنِّب الإنسان الذي استعمل قواه في أمور سلبية، فاللفظ والكلمة قوة لها تأثير نفسي ويفترض بالإنسان أن لا يجعل القوة في أمر يُغضب الله ﷻ أو يؤذي كرامة الإنسان، وحقوق الإنسان، ألاَّ يجعل قوته في كلمة تؤذي الآخرين بكلِّ صورة من الصور.

الإسلام يعالج هذه الحالة، وكأنَّه يقول لِمَن يتكلم اللغو: لماذا تتكلم باللغو؟!.. لماذا تبذل طاقاتك وقوتك وإمكانياتك بكلمات تُسيء بها للآخرين، وتسيء بها قبل الآخرين لنفسك، أو تسيء بها لنفسك وللآخرين؟!..

لهذا وَرَدَ في بعض أقوال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:-

﴿عن موسى بن جعفر، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: مرّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام برجل يتكلم بفضول الكلام، فوقف عليه، ثمّ قال: يا هذا، إنَّك تُملي على حافظيك كتاباً إلى ربِّك، فتكلم بما يعنيك ودع مالا يعنيك﴾[1]

[1] أخلاق أهل البيت (ع)/السيد مهدي الصدر/ص١٦٤

الرواية المباركة نفهمها من معنى الآية الكريمة التي تقول:-

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١]

(رَقِيبٌ عَتِيدٌ): المَلَكان اللذان يكتبان ما يتلفَّظ به الإنسان، وإذا كانا يكتبان ما يتلفَّظ به الإنسان، فمن باب أَولى أن يكتبا ما يعمله الإنسان، ولكنهما لا يكتبان ما يجول في داخل الإنسان.

بذلك، فإنَّ الإسلام أراد أن يُنزِّه الإنسان من اللغو، وإن حصل اللغو، فأراد من الإنسان الآخر ألاَّ يلتفت إلى اللغو من أجل الوصول إلى السلام.

خطر الجهل.. على السلام

الأمر الآخر الذي تعطيه هذه الصورة الإلهية للسلام ضمن الآية القرآنية التي تقول:-

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[٢]

إنَّ الجهل يُبعِّد الإنسان عن السلام، ولهذا نجد في ثقافتنا الإسلامية القول المشهور:-

﴿العلم نور، والجهل ظلام﴾[٣]

---

[١] سورة ق/آية/(١٧-١٨).

[٢] سورة القصص/آية/٥٥.

[٣] من الكلمات القصار المنسوبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام

حيث أنَّ الإنسان عندما يسير في ظلام يمكن:

أولاً: هو لا يسير بهدى، لا يعرف الاتِّجاه.

ثانياً: يمكن أن يسير ويُؤثِّر على الكثير من الأمور التي في طريقه، فهو يتخبَّط في سيره، يمكن أن يُؤذي إنساناً أو يكسر حاجة في طريقه، كما أنَّه يمكن أن يؤذي نفسه بمسألة معيَّنة نتيجة سيره في الظلام.

إنَّ الإنسان الجاهل كالذي يسير في الظلام، ولهذا الجهل دائماً يُسبِّب للإنسان نوعاً من أنواع السلبيات بين الإنسان وأخيه الإنسان.. الجهل في الدين، الجهل في المجتمع، الجهل في الأخلاق، الجهل في السلوك، الجهل في التصرف، الجهل بأهمية الكلمة الطيِّبة.

السلام.. مع كلّ أنواع الجهل

كلُّ ذلك هو صور متعدِّدة للجهل، تنطوي ضمن عنوان الجهل العام.. والسلبية تكون مضاعفة عندما يكون الجهل مركَّباً، فهناك مَن يجهل ويعلم أنَّه جاهل، وهناك مَن يجهل ولكنه لا يعلم أنَّه جاهل.

النوع الأول: نُسمِّيه في علم المنطق: الجهل البسيط.

النوع الثاني: نُسمِّيه في علم المنطق: الجهل المُركَّب، فهو جاهل ويجهل أنَّه جاهل، وعندما يكون جاهلاً أنَّه جاهل، يعني:

يعتقد بنفسه أنَّه متعلِّم، هذا النوع من البشر تكون سلبيته أضعافاً مضاعفة، في كلامه، وفي تصرفاته على الآخر.

لهذا، فالإسلام في هذه الصورة أراد أن يُؤكِّد على ضرورة عدم الالتفات إلى شريحة حَمَلَة اللغو، وكذلك إلى مجموعة الجاهلين، من أجل أن نُؤكِّد مبدأ السلام، وأن نتمكَّن من حَمْل السلام كرسالة، نعمل بها مع الآخرين.. هذه الصورة تُؤكِّدها الآية الكريمة التي ذكرناها:-

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[1]

هناك إعراض، وهنا عدم اعتراف بالجهل وما يقوله الجاهل، عندما نُعرِض عن أولئك ولا نعطي مكانة لقول الجاهل، يكون الردُّ ردَّاً إيجابياً، يكون الردُّ : سلام عليكم، يكون الردُّ: السلام، أنا لا أستمع إليك أيُّها الإنسان الذي تتكلَّم من دون قَصْد، ومن دون التفات، ومن دون تفكُّر، وإنَّما أعبر على كلامك عبور الكرام.

مقابل ذلك: لا ألتفت إلى قول الجاهلين، لا أعطي مكانة لقول الجاهلين، لا أعطي أهمية لقول الجاهلين، وأعمل مع الجاهل: كلُّ إناء بالذي فيه ينضح، وأبقى متَمسِّكاً بالمبدأ الإلهي الذي هو: السلام، وأقول له: سلام عليكم.

---

[1] سورة القصص/آية/٥٥.

الفصل الثالث

المبحث الثاني

السلام .. والهَدَفية

(مَبْحَثٌ تفسيري)

السَّلاَم.. والهَدَفية

ما زلنا ضمن المنهج الإلهي للسلام، وما زلنا نتعايش مع القرآن الكريم في صورِهِ الجميلة للسلام الجميل، السلام الإيماني السلام الفكري، السلام اللفظي، السلام الأخلاقي، السلام السلوكي والعملي.

انتشار السلام.. بالهَدفية الصادقة

لقد بيَّنت الصورة القرآنية السابقة: كيف نتعامل مع اللغو؟!.. وكيف نتبنَّى مبدأ السلام ونعمل بقِيَم السلام في حالة إظهار اللغو من قِبَل الإنسان الآخر أو من الآخرين؟!..

دائماً اللغو بمعناه العام يعني: الكلام الذي لا هدف فيه، وكلُّ كلام لا يحمل الهدف فهو نوع من أنواع الإساءة للمتكلِّم نفسه، وصورة من صور الإساءة للآخرين. واللغو كما عرَّفناه لا يحمل الهدف فهو يتكلَّم من أجل أن يتكلَّم، وهذا النوع من تبنِّي لغو الكلام كثيراً ما تحصل به إساءات غير مقصودة، فمن شأن كثرة الكلام أن تدخل فيها إساءات للآخرين بقصد أو من دون قصد.

لقد جاء في كتاب (الأمراض الأخلاقية: نظرة جديدة في عوامل السقوط)/فوزي آل سيف/ص٢٢ ومابعدها ما يلي:-

((ولذلك فلا مقارنة بين نعمة اللسان، إذا خلا من الآفات، وبين ما يُقابل اللسان والنُّطْق وهو السكوت. ولذلك وَرَد في الحديث عن إمامنا زين العابدين(عليه السلام)، أنَّه لمَّا سُئِل عن الكلام والسكوت، أيُّهما أفضل، هل الأحسن أن يتكلَّم الإنسان أو يسكت؟... الشائع عند الناس خطأ، أنَّه إذا كان الكلام من فِضَّة فالسكوت من ذهب. لكن هذا ليس صحيحاً على إطلاقه، فأجاب (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بقوله:-

﴿لكلٍ منهما آفات، فإذا سَلِما من الآفات، كان الكلام أفضل من السكوت﴾

قيل: كيف ذلك يا بن رسول الله؟... قال:-

﴿ لأنَّ الله (عَزَّ وَجَلَّ) مَا بَعَثَ الأَنْبِيَاءَ وَالأَوْصِيَاءَ بِالسُّكُوتِ﴾

بعثة نبيِّنا المصطفى محمد(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أنَّه جاء بشيراً ونذيراً. والتبشيروالإنذار إنَّما هو من خلال الكلام، من خلال اللسان.

أمَّا لو فرضنا أنَّ نبيَّاً جاء وجلس ساكتاً، كيف يهدي الناس؟... وكيف يعظهم؟... وكيف يُعلِّمهم؟...

وهكذا ما بلغ إلينا من علم أمير المؤمنين(عليه السلام) وقد وصل قسم منه إلينا في نهج البلاغة، لم يأتِ بالسكوت، وإنَّما أتى من خلال الكلام واللسان. يقول الإمام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):-

﴿إِنَّمَا بَعَثَهُمْ بِالْكَلاَمِ وَلاَ اسْتُحِقَّتِ الْجَنَّةُ بِالسُّكُوتِ....

وَلاَ اسْتُحِقَّتِ الْجَنَّةُ إِلاَّ بِالْكَلاَمِ، مَا اسْتُحِقَّتْ بِالسُّكُوتِ، وَلاَ اسْتُوجِبَتْ وَلاَيَةُ اللهِ بِالسُّكُوتِ وَلاَ تُوُقِّيَتِ النَّارُ بِالسُّكُوتِ إِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ بِالْكَلاَمِ﴾)) (انتهى).

وبحسب فهمنا للإسلام، للمجتمع، ولدور الإنسان في الحياة: أنَّ الكلام الهادف مطلوب دائماً، ولكن عندما يكون الكلام لا هدف فيه، وهذا ما عليه الأغلب في المجتمعات، فهذا الكلام هو الذي يقصده النَّبي سُليمان بن داوودعليه السلام بقوله: **(إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب)**..

فكثرة الكلام تُوقِع الإنسان في هفوات كثيرة، إن لم يكن هادفاً في كلامه.

أقول: إنَّ كل كلام اللغو هو من نوع الكلام غير الهادف، ولكن هناك منه كلام يحمل الهدفية عند المتكلِّم.

ومرة تكون هذه الهدفية (نتيجة هذا الكلام) سليمة، ومرة تكون غير سليمة.. مرة تكون صحيحة ومرة تكون غير صحيحة.. ومرة تكون بيان حقيقة، ومرة تكون محاولة تشويه وتزييف.. إذا كانت صحيحة وسليمة وبيان حقيقة، فهي ليست بلغو، بشرط ألاَّ يُقصَد منها الإساءة أو الغيبة أو التشويه، وإعطائها أكثر من حجمها.. وإذا كانت غير صحيحة، يعني: أنَّها كلُّها لغو.

وأمَّا الكلام الهادف، فهو كلام له مقْصد وغاية مُعتبرة تُوصِل إلى نتيجة معيَّنةٍ، فيها فائدة للفرد وللمجتمع.

حتَّى اللغو.. يعالجه السلام

كانت الصورة القرآنية الرائعة في التعامل مع كلام اللغو، هي: السلام، ففي بعض الأوقات، يمكن أن يكون هناك مَن يطرح بعض السلبيات على الآخر وهي صحيحة، ولكن لا يُحسِن في طريقة طرحها، فتكون جارحة، عندما تكون جارحة يعتبرها السامع لغواً.

لكن، وكأنَّ الصورة القرآنية تريد أن تقول: إنَّ الإنسان لابدَّ أن يمتلك صدراً واسعاً، ويحاول أن يمتلك عقلاً كبيراً، فليس بالضرورة كلُّ مَن يريد طرح بعض نقاط الضعف الموجودة عند الآخر، يُحسِن إبداءَها ويُحسِن طرحها ويُحسِن برمجتها، أو عندما يتكلَّم بها يتكلَّم بهدوء وبابتسامة، بالشكل الذي لا يتصوَّر السامع (سواء كان هو المعنيُّ أو هو غير المعني) لا يتصوَّر أنَّ المُتكلِّم يريد الإساءة إليه.

تماماً أنَّ هذا هو المطلوب، وهذا يدخل ضمن النقد الذاتي، يدخل ضمن العمل من أجل تصحيح مسار الآخرين، يدخل ضمن (المؤمن مرآة لأخيه المؤمن)، يدخل ضمن (الإسلام: النصيحة)، ولكن يحتاج إلى تقدير ممَّن يسمع ويستمع.

حالة أخرى: أنَّه يقصد تثليب الآخر.

في الحالة الأولى: الأسلوب يدخل في اللغو، ونقصد بالأسلوب: كيفية الطرح، أمَّا المدلول، المعنى، والهدف لا يعتبر

لغواً.

كأنَّ القرآن الكريم يقول لنا: إذا كان هناك خطأ أو عدم دِقَّة في الأسلوب، فلابدَّ أن نتعامل مع الآخر بسعة صدر وبتعقُّل، وأن نتعامل معه على أصل السلام.

الحالة الأخرى: إذا كان طرف من الأطراف يهدف إلى تثليب الطرف الآخر، فالإسلام دائماً في هذه الحالة ينصح بالحوار، إذا كان هناك مجالاً لأيِّ نوع أو درجة من الحوار. لأنَّ الذي يَظهر من هذا التثليب والتشويه غير المُبرَّر وغير الصحيح، ردود أفعال من المقابل وربَّما الطرف الآخر، يحمل شيئاً سلبياً في نفسه، ولهذا سيكون الحوار هو سيِّد الموقف إن أمكن، على القاعدة القرآنية:-

﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1]

وقد ذكرنا في قسم التفسير المسترسل ضمن تفسيرنا الكبير (البيان والتبيان في تفسير وتنزيل القرآن)/ج١٩/ص٣٤٨ ما يلي:-

((**﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ﴾** في الجزاء **﴿ادْفَعْ﴾** السيئة **﴿بِالَّتِي﴾** بالخصلة التي **﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾** كالجهل بالحلم والإساءة بالعفو **﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾** محب قريب)) (انتهى).

---

[1] سورة فصلت/آية/٣٤.

كما جاء في تفسير (من وحي القرآن)/السيد محمد حسين فضل الله، في تفسير الآية ٣٤ من سورة فُصِّلت ما يلي:-

((وهو موقف يمكن مواجهته بأسلوبين:

أولاً: أسلوب السيئة الذي يعمل على إثارة الإنفعال الذي يُحرِّك الحقد والعداوة والبغضاء... وهو أسلوب يعتمد الكلمة الحادَّة والنظرة الغاضبة واليد المعتدية.

ثانياً: أسلوب الحسنة الذي يعمل على الدراسة العقلانية لكل مفردات الصراع المتناثرة من أفكار ومواقع ومواقف.)) (انتهى).

وقد جاء في كتاب (أخلاق أهل البيت (ع))/السيد مهدي الصدر/ص(٢٦-٢٧) ما يلي:-

((وسمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يَشْتُم قنبراً، وقد رام قنبر أن يردَّ عليه، فناداه أمير المؤمنين عليه السلام:-

﴿مهلاً يا قنبر، دع شاتمك مُهاناً تُرضي الرحمن وتُسخِط الشيطان وتعاقب عدوك، فَوَالَّذي فَلَق الجنة وبَرأ النسمة، ما أرضى المؤمن ربَّه بمثل الحلم، ولا أَسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه﴾)) (انتهى).

هذا العداء من طرف لآخر سيكون سبباً في تأزيم الموقف وتشويه الصورة بين الطرفين. التصرف السليم وما يُوصِلنا في هذه الحالة إلى السلام هو: الحوار.

في حالة عدم القدرة على الحوار: إمَّا أنَّ أحد الأطراف لا يقبل الحوار، أو لا يمكن الحوار معه.. عند ذلك وكأنَّ القرآن الكريم يريد أن يقول لنا:

كلٌّ يتعامل مع الآخر بأخلاقه، بِقِيَمه، بمبادئه، هذا التعامل مع الآخر بأخلاق حسنة، إذا قابَله الطرف الآخر بالتشويه والتثليب والاتِّهام وما شابه وشاكل ذلك، فعلى الطرف الآخر أن لا يقابِلَه بالمثل، وإنَّما يقابله بالخُلُق الإلهي، بالتربية الإلهية، ولهذا يكون جوابه: سلام عليك.. هذا بالنسبة إلى اللغو.

سلام.. للعيش مع الجاهلين

كذلك نفس الصورة نسحبها إلى الجهل: هناك كلام عن جهل، وهناك كلام عن قصد وليس عن جهل.

الكلام الذي يكون عن جهل، والإساءات التي تكون عن جهل، إساءات غير مقصودة في الحقيقة، لأنَّ الطرف الجاهل يجهل الحقيقة، وأنَّه تسرَّع ولكن تسرُّعه لا يعني أنَّه قصد ذلك الكلام، ولهذا لابدَّ من التعامل معه بالحوار. الحوار الذي لا يفرض الرأي على الآخر، وإنَّما محاولات توضيح للآخر، فالحوار بمفهوم التوضيح للآخر هو: سلام، هو من مفاهيم وصور السلام.

أمَّا إذا كان هو ليس فيه قابلية لأن يُدرِك الحقيقة، أن يُدرِك الآخر، كأنَّ القرآن الكريم يقول:

بالنتيجة الطرف الجاهل هذا واقعه، ولابدَّ أن تتعامل مع الواقع بما هو، ودائماً لا تعامل إلهي بعنف، إذن لا يبقى إلاَّ السلام، ولكن تقول: (لا نبغي عداء الجاهلين).

إذن، اللغو وهو لغة الجاهل والعاجز:

مرة: يكون في كيفية الطرح، في الأسلوب، في نبرات الصوت، في تعابير الوجه.. ومرة: لا يكون كذلك، وإنَّما بالقصد والإصرار من ناحية اللغو..

كذلك الجهل:

مرة: يكون جهلاً بسيطاً، ويمكن محاورته.. دائماً يكون صاحبه (أي صاحب الجهل البسيط) يحتمل فيما لديه من معلومات أنَّها صحيحة، أو أنَّها غير صحيحة، ولكنَّه اعتبرها صحيحة، فإن كان هناك حوار موضوعياً وهادفاً ومنصفاً، يمكن الوصول معه بهذا الحوار إلى نتيجة.

ومرة: يكون جهلاً مركَّباً، يعني: أنَّ صاحب الجهل المركب لا يعترف أنَّه جاهل، وهذا معنى الجهل المُركَّب، جاهل ولا يعلم أنَّه جاهل، فعندما يكون جهله مُركَّباً وهو لا يعترف بأنَّه جاهل، لا يقبل منك الحوار والنقاش، ولا يقبل منك محاولاتك لتوضيح الأمر له، لتوضيح متبنياته.

ولهذا كمرحلة أولى: نقول له: سلام عليكم، لا نبغي الجاهلين.

فكرة.. خاطئة

يمكن أن تكون هذه الشرائح (أي شرائح الجاهلين) في بعض المجتمعات كثيرة، فهل من الصحيح أن أجعلها أساساً في تعاملي مع الآخر؟... وقد صدرت منها بعض السلبيات وبعض الهفوات؟!.. مع أنَّنا بيَّنَّا أنَّ من الممكن أن تكون هذه الحالة شائعة في بعض المجتمعات.. وإذا كنتُ أعمل على أن أبني على أساسها وأكتفي بقول: سلام عليكم، لا نبغي الجاهلين، بالتدريج سيكون دوري في المجتمع دوراً مهمَّشاً.

كأنَّ الإسلام الحبيب، يريد أن يُبيِّن لنا أن: خُذْ من الآخر نقاط قوته، نقاط السلامة، وتعامل مع نقاط السلامة، والمطلوب: أن تحاول الابتعاد عن نقاط الخلاف أو الاختلاف أو تصوراته الخاصَّة بالآخر، ومهمَّتي كحامل رسالة إيمانية وإنسانية ووطنية والتي من أهمِّ مفرداتها السلام: يُفرَض ألاَّ تكون علاقتي مع الآخر تبتني على هذه السلبيات التي حصلت.. لأنَّني إن بنيتُ عليها، فسأبتعد شيئاً فشيئاً عن الكثير من أفراد المجتمع، وبذلك أفقد دوري كحامل رسالة وأعمل من أجل هدف.

لهذا فكلُّ المصلحين وعلى رأسهم الأنبياء(عليهم السلام): كان يُستهزَأ بهم، والاستهزاء هو نوع من أنواع اللغو، والاستهزاء درجة من درجات الجهل، أو صورة من صور الجهل، ولكن كان

المصلحون من أنبياء وأئمَّة وصحابة وصالحين وحَمَلَة رسالة ما كانوا يتركون أقوامهم، من أجل أن يبقوا عناصر فعَّالة إيجابية في المجتمع.

للسلام.. خطَّة قرآنية

هنا، هذه الصورة هي: ضرورة أن يبقى الإنسان عنصراً فاعلاً في المجتمع، ويعمل وباستمرار من أجل السِّلْم والسلام ومبدأ السلام، وتأكيد ثقافة السلام ما بين الإنسان والوجود، وأهمُّ ما في الوجود هو الإنسان الآخر، نرى الصورة القرآنية التي تقول لمن يحمل رسالة السلام:-

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلاَمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[١]

التوجيه الإلهي هو: الصفح.

التوجيه الإلهي هو: عدم الالتفات.

التوجيه الإلهي هو: غضُّ النظر عن السلبيات التي صدرت من الآخر.

تماماً أنَّ الصفح وغضِّ النظر وعدم الالتفات، تلك مسائل ليست بسهلة، تحتاج إلى تربية نفس وتحتاج إلى قناعات، ولكن الإسلام عن طريق المنهج الإلهي (القرآن العظيم) يعمل من أجل تربيتنا على أن نعيش هذه القناعات، وألاَّ نُهمِّش وجوداتنا، وأنَّ

---

[١] سورة الزخرف/آية/٨٩.

الإنسان (وضمن كلِّ الظروف التي يمرُّ بها) لابدَّ أن يعيش هدفه، وألاَّ يخرج عن القاعدة الإلهية التي يجب على كلِّ إنسان باستمرار أن يعيشها وهي:-

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾[1]

إذن، فوجود الهدفية مسألة ضرورية في حياة الإنسان ما دام هو في الحياة الدنيا، لأنَّنا لا يمكن أن نُؤكِّد الهدفية إلاَّ بحمل الرسالة.. إذن، إن أردنا أن نبتعد عن كلِّ مَن يصدر منه اللغو، أو كل مَن هو جاهل، سنبتعد عن الكثير من المجتمع، ولهذا التوجيه الإلهي جاء بالصفح:-

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلاَمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾

بعد ذلك، كيف تصفح عنهم؟!..

القرآن الكريم يقول: لابدَّ أن تصفح عنهم بخُلُقك، بأدبك.. لابدَّ أن تصفح عنهم ليس بعداء، وإنَّما تصفح عنهم وأنت تحبُّ الإنسان، ولهذا تصفح عنهم بسلام.

من الممكن أنَّك لم تقبل أسلوبه، أو لم ترتضِ رأيه، أو استنكرتَ عليه جهله، ولكن إذا كانت أغلبية أفراد المجتمع بهذا المستوى، فليس لك إلاَّ أن تبقى تعمل من أجل الإنسان، وبالتدريج يمكن أن تتغيَّر الكثير من الآراء.

---

[1] سورة المؤمنون/آية/١١٥.

نُكرِّر السؤال: كيف تصفح عنهم؟!.. تقول الآية الكريمة:-

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾

تعاملْ معهم بسلام.

ثمَّ تذكر الآية الكريمة حقيقة، لكن بشرط أن يكون حامل الرسالة مخلصاً، وهذه الحقيقة هي:-

﴿وَقُلْ سَلاَمٌ﴾

فكلُّ إنسان يمكن أن يكون قد تبنَّى رأياً لفترة معيَّنة، تبنَّى فكرة معيَّنة، تبنَّى تصورات معيَّنة، تبنَّى آراءاً معيَّنة لأشخاص معيَّنين، أو كان بدرجة معيَّنة من الجهل (بسيط، مركَّب) ولكن يا أيُّها الإنسان، يا مَن تحمل الرسالة، يا صاحب الهدف، لابدَّ لك أن تستمر في حَمْل رسالتك في هذا المجتمع، وبمقدار إخلاصك، فتُثبت للآخرين صدق ما أنت عليه، وسيعلمون خطأ ما كانوا يظنُّون ويتصورون وربَّما يعملون.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾

وهنا، لا فرق فيما بين أن يكون هذا من أبناء دينك السماوي أو من أبناء ديانة أخرى أو كان ممَّن لا يؤمن، المهم ألاَّ تحمل عداءاً لإنسان، يعني: تحمل السلام معه.. ولهذا إن أردنا أن نقرأ الآية مع الآية التي قبلها والتي تقول:-

﴿وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمٌ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[1]

---

[1] سورة الزخرف/آية/٨٨.

يأتي الجواب:-

﴿**فَاصْفَحْ عَنْهُمْ** (ولابد أن تتعامل معهم بسلام) **وَقُلْ سَلاَمٌ** (وهم سوف يعلمون الحقيقة) **فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾[٢]

هذه صورة قرآنية رائعة وكلٌّ صور القرآن رائعة، ولكنها صورة قرآنية رائعة تُضاف إلى صور السلام في التعامل مع الآخر.

[٢] سورة الزخرف/آية/٨٩

الفصل الثالث

المبحث الثالث

السلام.. نُزهة الحياة

(مَبْحَثٌ تفسيري)

السلام.. نزهة الحياة

نتنزَّه بسعادة في البستان الإلهي، بين الورود الإلهية، بين الرياحين الإلهية، والتي تُعبِّر عن مفردات تربوية للفرد وللجماعة، ضمن الحياة بكلِّ مفرداتها.

وأهمُّ ما يُقوِّم الحياة هو: السلام.. فلا حياة من دون سلام.

السلام.. عقيدة وعمل

نرى تأكيداً ضمن التربية الإلهية، وضمن آيات كثيرة في القرآن الكريم عن موضوع السلام وأهمية السلام وكيفية التعامل مع الآخر، من أجل سلام عملي ما بين الإنسان وأخيه الإنسان (فرداً وجماعة) ونتنقَّل ما بين هذه الصور الإلهية الرائعة الجميلة، لتربية الإنسان وتكييف الإنسان على ثقافة السلام، وكيف أنَّه لابدَّ أن تكون هناك ثقافة عملية وليست ثقافة نظرية.

فمفردة السلام من المفردات الإلهية التربوية للإنسان (فرداً وجماعة) ولكن فيها جانب عقائدي وفيها جانب عملي، فيها جانب نظري وفيها جانب تطبيقي.. تماماً أنَّ هناك بعض التوجيهات الإلهية، (التربية الإلهية) هي مسائل عقائدية لابدَّ أن يؤمن بها الإنسان، وفي حالة وجود قدرة على برمجتها في الحياة، يبرمجها

في حياته، أو هناك ضرورة لبرمجتها في الحياة، أو حاجة له كفرد أو للجماعة كجماعة: لابدَّ أن يُجسِّدها في سلوكه وأخلاقه.

أمَّا مفردة السلام فهي مفردة عقائدية، لأنَّها هي اسم من أسماء اللهﷻ، والتي هي مفردات عقائدية بالنسبة لنا، لابدَّ أن نؤمن بها.. فمن لا يؤمن أنَّ اللهﷻ هو السلام، يخرج عن الإيمان، فالقرآن يُؤكِّد الجانب العقائدي، الجانب الإيماني، ويُكيّف الإنسان من أجل أن يكون هذا الجانب الإيماني العقائدي هو كذلك جانب عملي وحياتي وسلوكي.

إحباط.. لكنَّه دفعة معنوية

من أجل هذا، يحاول المنهج الإلهي أن يُربِّي الإنسان على عدم الاعتناء باللغو، فالتعامل دائماً مع اللغو بتأكيد مفردة السلام، وليس المطلوب من التعامل بالسلبيات التي تحصل من الآخرين بسلبيات مثلها، وإنَّما يريد في تربيته للإنسان أن يتعامل مع السلبيات بخُلُقه، أن يتعامل كردِّة فعل للسلبيات بالإيجابيات.

لهذا أراد الإسلام العزيز أن يكون السلام مقابل اللغو، وأراد السلام مقابل الجاهلية، وأراد الصفح، عندما قال في سورة الزخرف:-

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[١]

---

[١] سورة الزخرف/آية/٨٩

أراد السلام مع كلِّ هذه الألوان والأصناف من الناس، وحتَّى لو كانوا غير مؤمنين.

هنا، نستقرب أنَّ عبارة (غير المؤمنين) تعني: غير المؤمنين بالقِيَم وبالإنسان، أمَّا مفردة الإيمان باللهﷻ فهي مسألة تكوينية، هي مسألة فطرية، وهذا ما ذكرناه في كثير من محاضرات وثبَّتناه في بعض كتبنا:

إنَّ مسألة الإيمان هي فطرية، بالمعنى الذي: إنَّ اللهﷻ ضمن خَلْق الإنسان، خَلَقه وهو مؤمن، ولهذا سُمِّيت الفطرة فطرة.. يقول (تعالى):-

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ (وكلَّ الناس) عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[1]

وعندما يقول النَّبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿كلُّ مولود يُولد على الفطرة﴾

(الكلُّ) تعني: الاستيعاب، والعمومية.. إذن، (غير المؤمنين) لا يؤمنون بالمنهجية الإلهية، هم لا يؤمنون بالقِيَم الإلهية، من حيث النتيجة العملية: هم لا يؤمنون بالتربية الإلهية والخالقية الإلهية التي من ضروریاتها التربية الإلهية، والمنهج الإلهي، بالنتيجة يعني: لا يؤمنون باللهﷻ من الناحية العملية.

لأنَّ المطلوب: أن يكون الإيمان عملياً، والإيمان العملي هو

---

[1] سورة الروم/آية/٣٠.

استجابة لتربية مَن خَلَقني، أمَّا مع عدم الاستجابة يكون لا معنى لإيماننا.

لكن، نحن لابدَّ أن نُميِّز ما بين الإيمان التكويني الفطري وما بين الإيمان العملي الذي هو يكون نتيجة الإيمان بالتربية الإلهية والمبادئ الإلهية والقِيَم الإلهية، وعلى رأسها: الإنسان وحقوق الإنسان وكرامة الإنسان والسلام مع الإنسان الآخر.

كأنَّ حامل الرسالة (رسالة السلام) يمكن أن يُصاب بإحباطات نتيجة اللغو بأقسامه التي ذكرناها، بأنواعه التي بيَّنا بعضها، ونتيجة مواقف الجاهلين، وإصرارهم على ما هم عليه من سلبيات حياتية وسلوكية وأخلاقية، تنعكس على تعاملهم مع الإنسان الآخر.

اللهﷻ يريد أن يُؤكِّد لحامل رسالة السلام، وبالتأكيد أنَّ أعلى مَن حَمَلَ رسالة السلام هم: الأنبياء(عليهم السلام)، وأعلى الأنبياء هو: النَّبيُّ الكريم رسول الله محمَّد(صلى الله عليه وآله وسلم)، ودائماً مَن يحمل رسالة السلام وهو مؤمن بها إيماناً عقائدياً، نظرياً وعملياً، تطبيقياً، سلوكياً، مؤمن بها كمنهجية للحياة، دائماً يحملها مع تحرُّق، يحملها ويبذل قصارى ما لديه من طاقات وقابليات وقدرات وإمكانيات من أجل إيصالها إلى الآخر (فرداً وجماعة) وبعد ذلك من أجل تطبيق الآخر لها على الإنسان الآخر، سواءً كان فرداً أوجماعة.

فعندما يرى حامل الرسالة (في بعض الأحيان) أنَّه لن يصل

إلى نتيجة في بعض المجتمعات، يصاب بدرجة من الإحباط، يصاب بدرجة من الألم الداخلي.

تماماً أنَّ إحباطات حامل الرسالة تزيد من عمله ومن طاقته ومن تصميمه ومن إرادته ومن تفعيله لأدواته الخيِّرة، ولكن هذا لا يعني أنَّه لا يعيش الألم في داخله، وإنَّما يعيش الألم في داخله إن أحبَّ رسالته.

لهذا يريد لهذه الرسالة الإلهية والتي منها السلام:-

أولاً: أن تكون رسالة الحياة.

ثانياً: لأنَّه أحبَّ الإنسان فهو من ضمن رسالته: حبُّه للإنسان، يريد له الخير، وحامل الرسالة يرى أنَّ الخير للإنسان هو بالسلام، أنَّ السعادة للإنسان هي بالسلام، أنَّ السلامة للإنسان هي بالسلام.

المُتهيِّئون.. للسلام

اللهﷻ يخاطب قمَّة حَمَلَة رسالة السلام (النَّبيُّ الأعظم محمَّد(صلى الله عليه وآله وسلم)) وكلَّ مَن حمل رسالة السلام، بقوله (تعالى) في سورة النمل:-

﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [1]

[1] سورة النمل/آية/(٨٠-٨١).

مَبحَثٌ تفسيري

لقد ذكرنا في تفسيرنا (البيان والتبيان في تفسير وتنزيل القرآن)/ج١٢/ص٢٥٧ ما يلي:-

((وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[1]

أي: إنَّك أيُّها النبيُّ لا تستطيع هداية هؤلاء الكافرين إلى شيءٍ ينفعهم، لأنَّهم كالموتى، حيث أنَّهم فقدوا الحسَّ والعقل والإدراك، فلا يَعُون شيئاً ممَّا يسمعون ولا ينتفعون بما يُتلى عليهم من القوارع والزواجر، شأنهم في ذلك (وهم أحياءٌ) شأن الموتى في القبور الذين يستحيل عليك إسماعهم أيَّ شيءٍ ينفعهم، وذلك مُوجِبٌ لقطع الطمع في هدايتهم، وداعٍ إلى تفويض الأمر إلى الله والتوكُّل عليه. وهم كالصُّمِّ الذين فقدوا أداة السمع، يصيح بهم الداعي إلى الحقِّ، فلا يسمعون النِّداء، مع أنَّهم صِحاح الحواسِّ، ذلك لأنَّ شأن الأصمِّ، عدم السماع ولو كان الداعي أمامه، وبمقابلة صماخه، فكيف يكون حال هؤلاء الصُّمِّ إذا ابتعدوا عن الداعي وتولَّوا عنه مُدبِرين؟...

لاشكَّ أنَّ عدم سماعهم للدعاء يكون أشدُّ وأقوى، فإنَّهم مع

---

[1] سورة النمل/آية/٨٠

صممهم مُعرِضون عن الداعي، وفي ذلك من التأكيد والمبالغة في عدم السماع لدعوة الحقِّ ما فيه ممَّا لا يخفى، وإطلاق الأسماع بعدم ذكر المسموع لبيان عدم سماعهم لشيءٍ من المسموعات.

قوله (تَعَالَى):-

﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]

أي: ليس في وسعك خَلْق الإيمانِ في قلوبهم وصرفهم عمَّا هم فيه، وهدايتهم هداية مُوصِلة إلى المطلوب، لأنَّهم كالعُمي يضلُّون الطريق، ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم، ويجعلهم مهديين بُصراء إلى الله تَعَالَى.

ومعنى قوله (تَعَالَى): ﴿إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ ما يُجدِي إسماعك إلاَّ مَن عَلَم الله أنَّهم يؤمنون بآياته ويُصدِّقون بها، وهم ليسوا موتى ولا صمَّاً ولا عُمياً.

ويجوز أن يُراد بالآيات: المعجزات التي أظهرها الله على يدي النَّبيِّ الشاملة للآيات التنزيلية والتكوينية، وأن يُرادَ بها الآيات التكوينية فقط، والإيمان بها:

التصديق بكونها آيات الله وليست من السحر وغيره.

وقوله(تَعَالَى): ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ تعليل لإيمانهم بالآيات، أي: فإنَّهم مطيعون منقادون إلى الحق بسلوك طريقه السَّويِّ وفْق

---

[1] سورة النمل/آية/٨١

إرشاد آياته.)) (انتهى).

وفي هذا السياق ذكر الشيخ محمد جواد مغنية في التفسير الكاشف/ج٦/ص٣٩ ما يلي:-

((﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ* وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ﴾[1] هذه الجمل تهدف إلى شيء واحد، وهو أنَّ هناك صفات تُميت القلب، وتدفع بالإنسان أن يُصِرَّ على الكفر والنِّفاق والضلال، وتجعله والموتى سواء، لا تُجدي معه عِظة ولا إنذار، ومن أهم هذه الصفات: الطمع والحرص على المكاسب والمناصب.)) (انتهى).

فَحَمَلَة رسالة السلام وعلى رأسهم النَّبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يتكلَّم مع الآخرين بالسلام، وضرورة أن يبتعدوا عن شريعة الغاب، وشريعة أكل القويِّ للضعيف، كما كانت عليه بعض مجتمعات ما قبل الإسلام.

كان النَّبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم) يتألَّم عندما لا يرى الاستجابة المطلوبة.. اللهﷻ يقول له: نتيجة بيئتهم ونتيجة اتِّخاذهم شهواتهم إلهاً لهم، واتِّخاذهم هواهم إلهاً لهم، تكون آذانهم وكأنَّها لا تسمع، هؤلاء نتيجة بُعدهم عن اللهﷻ وعبادتهم لشهواتهم وغرائزهم والدنيا، ماتت قلوبهم لأنَّها ابتعدت عن اللهﷻ، ولهذا اللهﷻ يقول له (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ):-

---

[1] سورة النمل/آية/(٨٠-٨١).

﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء﴾

(الصُّمَّ) لا يعني عدم سماع الصوت هنا، إنَّما هو عدم سماع المنطق السليم.. إذا هم لم يقتنعوا بأن يسمعوا ما تقول، والقرآن الكريم يعطينا في كثير من الآيات صوراً لهؤلاء، فمرة يجعلون ثيابهم على رؤوسهم، ويضعون أصابعهم في أذانهم[١]، ومرة يبتعدون عن صوت النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم) أو قراءته للقرآن من أجل ألاَّ يستمعوا إلى قراءته وإلى حديثه وكلامه[٢]، هؤلاء الذين هم لا يمكن أن تُسمعهم، لا يمكن أن تهديهم إلى المنهج الإلهي، يعني: لا يمكن أن تهديهم هداية عملية، تتجسَّد بسلوكهم وبأخلاقهم.

مثلما نرى الآن في مجتمعاتنا الكثير ممَّن يهتمُّ بمصالحه وجعل مصالحه أنَّها هي أولاً وآخراً.. والحال، الإنسان المؤمن العملي يجعل اللهﷻ هو الأول والآخر والظاهر والباطن، أمَّا هؤلاء الذين عبدوا مصالحهم وجعلوها فوق كلِّ شيء، جعلوا مصالحهم هي الأول والآخر، هؤلاء لا يمكن أن تهديهم.

﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ....﴾ [٣]

كأنَّ اللهﷻ يريد أن يُبيِّن لحامل الرسالة وعلى رأسهم النَّبيّ الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول له:-

---

[١] (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) سورة نوح/آية/٧.

[٢] (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) سورة الإسراء/آية/٤٦.

[٣] سورة الشعراء/آية/٧٨.

﴿....إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾[١]

الإنسان عندما يعيش فطرته، سيؤمن بالمنهج الإلهي، سيؤمن بالتربية الإلهية.. عندما يعيش فطرته يؤمن أنَّ اللهﷻ هو الذي خَلَقه، ومن خَلَقه هو الذي يهديه.

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[٢]

لهذا اللهﷻ يُؤكِّد ويُبيِّن ويُوضِّح:-

﴿إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾

يعني: الذين يؤمنون بآياتنا تُسمعهم، لأنَّهم متهيئون لأن يستمعوا، ولهذا كلامك يصل إليهم، نتيجة ماذا؟!..

نتيجة: أنَّهم استسلموا للهﷻ، وقد ذكرنا أنَّه في بعض الصور القرآنية للسلام: تلازم الاستسلام للهﷻ مع الإيمان بالسلام، تلازم الاستسلام للهﷻ مع الإيمان بالإنسان، والذي يؤمن بالإنسان لابدَّ أن يؤمن بالسلام، وذكرنا أنَّ الإيمان باللهﷻ الذي يُنتج الاستسلام لا يكون إلاَّ بمحبَّة اللهﷻ، وذكرنا كذلك أنَّ محبَّة اللهﷻ لا يمكن أن تتمُّ إلاَّ بمحبَّة الإنسان الذي هو خليفة اللهﷻ في هذا الكون، وأثمن وأشرف ما خَلَق في هذا الوجود.

فمَن يكن مستسلماً للهﷻ، يكن من ناحية: مصغياً لرسالة اللهﷻ، ومن ناحية أخرى: يكن مؤمناً بالإنسان وبالسلام وبضرورة

---

[١] سورة النمل/آية/٨١.

[٢] سورة الشعراء/آية/٧٨.

تفعيل رسالة السلام مع الإنسان الآخر وكلِّ الآخر.

التكبُّر.. يهدم السلام

قول الله ﷻ في سورة النمل/آية/٨١: (**فَهُم مُّسْلِمُونَ**) من معطياتها: الخضوع والخشوع لله ﷻ، والذي لابدَّ أن يقترن بالمحبَّة والتواضع للإنسان الآخر.

من معاني التواضع: هو عدم التكبُّر، ودائماً العلاقة المثالية ما بين الإنسان والإنسان الآخر، لابدَّ أن تبتني على قول النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿الناس سواسية كأسنان المشط﴾[1]

معنى (**كأسنان المشط**): يعني لا فرق بين هذا والآخر، عندما يعيش فكرة ألاَّ فرق ما بينه وبين أخيه الإنسان، فلماذا يتعالى عليه؟!.. فلماذا يتكبَّر؟!.. وأنَّ (**كلّكم لآدم وآدم من تراب**)، يعني: هناك مساواة في انتمائنا لآدم، وآدم هو من تراب، فإذن لماذا التكبُّر؟!..

بالنسبة للجميع يكون هذا، وخصوصاً بالنسبة إلى حَمَلَة رسالة السلام: لابدَّ أن يكونوا مستسلمين لله ﷻ، ولابدَّ أن يكون استسلامهم لله ﷻ نظرياً وعقائدياً، استسلاماً عملياً وسلوكياً.

---

(١) كتاب اقتصادنا/آية الله العظمى الشهيد السيِّد محمد باقر الصدر (قُدِّس سِرُّه)/ص٣٨١

الاستسلام النظري والعقائدي: يكون في العلاقة ما بينهم وبين اللهﷻ، والتي تعني: العلاقة ما بينهم وبين المنهج والتربية، وتقبُّلهم لهذه التربية.. واستسلامهم العملي للهﷻ هو الذي يترجم علاقتهم ما بين الإنسان والإنسان الآخر..

والعلاقة مع اللهﷻ.. علاقة خضوع وخشوع، أمَّا العلاقة ما بين الإنسان والإنسان، لأنَّه مثله.. تكون على شكل تواضع وأخلاق.

لهذا دائماً حَمَلَة السلام يدعون الآخرين إلى السلام العملي. **(أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)** [1]

لقد ذكرنا في تفسيرنا (البيان والتبيان في تفسير وتنزيل القرآن)/ج١٢/ص١٧٨ تفسير **(أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)**:-

((ألاَّ تعلو علي وائتوني خاضعين ولا تتكبَّروا وتتجبَّروا وتأخذكم العِزَّة بالإثم، فتجنحوا إلى العِصيان والتمرُّد، أو أئتوني مسلمين، مؤمنين بدعوتي، طائعين منقادين لرسالتي، ففي هذا أمنكم، وسلامة دنياكم وسعادة آخرتكم)) (انتهى).

(أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ): لا تكبُّر، لأنَّه لا يمكن للإنسان أن يعلو على الإنسان الآخر، **(وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)** الاستسلام الأول هو: للهﷻ ولمنهجه والذي منه: السلام، ومن ثمَّ الاستسلام للسلام ما بين الإنسان والإنسان الآخر.

---

[1] سورة النمل/آية/٣١.

القلب السليم.. يشعُّ سلاماً

بالتأكيد أنَّ هذه المرحلة الجميلة الطيِّبة والشاقَّة للإنسان في حَمْل رسالة الاستسلام لله ﷻ، والسِّلْم ما بينه وبين الإنسان الآخر، تحتاج إلى أساس في داخل الإنسان الحامل لهذه الرسالة أو إلى أسس متعدِّدة ولكن منها: أن يكون قلبه سليماً، أن يكون قلبه لله ﷻ، كما أراد (سبحانه وتعالى)، عندما قال في الحديث القدسي:-

﴿لم تسعنِ أرض ولا سمائي ولا كرسيِّي، وإنَّما وَسِعني قلب عبديَ المؤمن﴾[1]

كأنَّ الله ﷻ (وكما يظهر من الحديث القدسي) أراد أن يتَّخذ قلب عبده بيتاً له، فمَن آمن بالله ﷻ حقَّ الإيمان واستسلم لله ﷻ، لابدَّ أن يكون قد أحبَّه، ومَن أحبَّه لا يمكن أن يعيش الغفلة عن الله ﷻ، فإذا عاش الذكر لله سيكون قلبه بيتاً من بيوت الله، سيكون قلبه منوَّراً بنور الله ﷻ، يكون قلبه قد مُلِئ نوراً وخيراً وحبَّاً، وعملاً بالخير والمحبَّة، قد مُلِئ سلاماً واستسلاماً لله ﷻ، وسلاماً ما بينه وبين الإنسان الآخر.. لهذا في تأكيد مفهوم السلام، تقول الآية الكريمة في سورة الشعراء:-

﴿إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]

---

[1] الأنوار النعمانية/ السيد نعمة الله الجزائري/ج٣/ص٥٠

[1] سورة الشعراء/آية/٨٩.

تماماً أنَّ هذا القلب السليم درجات، ولكن علينا أن نعمل ولو على أدنى الدرجات حتَّى نتمكَّن أن نكون مسلمين عملياً لله ﷻ. حاملين للسلام بشكل عملي ما بيننا وبين الإنسان الآخر، ومن ثمَّ نتدرَّج في درجات سلامة قلوبنا، ونكون أقدر على استسلامنا لله ﷻ وحَمْلنا لرسالة السلام ما بيننا وبين الإنسان الآخر.

خلاصة الفصل الثالث

١-بما أنَّ الإسلام هو رسالة السماء إلى الإنسان لذا أكَّد في مشروعه العملي على مبدأ السلام بكلِّ منطلقاته، كي يُؤمِّن هذا الدين الإلهي قاعدة إيجابيةً بين المؤتلِف والمختلِف لغرض الوصول إلى جوهر الحقيقة بدون تناحُر أو تخاصم أو عداء بين الأطراف المؤمنة بالإسلام وغير المؤمنة به.

٢-في كثيرٍ من الأحيان وأثناء النقاشات والمحاورات تصدر من هذا الطرف أو ذاك عبارات القسَم بالله تَعَالَى، ويكون الشخص صاحب القسم لا يقصد القسم الشرعي بالله تَعَالَى وإنَّما هو في سياق مجرى الحديث وعن طريق العادة، وفي هذه الحالة يكون القسم من باب اللغو غير المعتدِّ به شرعاً.

٣-إنَّ الإنسان المؤمن، الإنسان المُتوازن هو الذي يتمكَّن من السيطرة على مشاعره بعقله وبإرادته عكس الإنسان الجاهل الذي لا يُسيطر على مشاعره ولسانه عندما يُثار ويُصبِح إنساناً فوضوياً.

٤-الكلام بحكمة خير من السكوت بجهل، والسكوت بحكمة خير من الكلام بجهل.

٥-حتى نكون أفراداً متحضِّرين وأبناء مجتمع متحضِّرٍ يجب

أن نتقِن فنَّ الحوار وفنَّ مُخاطَبة الآخرين وملَكَة التعامل الحَسَن بالقول والفعل.

٦-يجب تغليب لغة الحوار المتعقِّل ف علاقاتنا الإنسانية والابتعاد عن لغة التجريح، سواءاً كان بالتلميح أو التصريح، فذلك مخالف لتعاليم الإسلام المجيد.

٧-عندما يصل الحوار إلى طريق مسدود بين طرفين بسبب إصرار الطرف الجاهل بعدم تقبُل وجهة النظر العُقَلائية التي يطرحها الطرف المتعقِّل، فيجب على الطرف المتعقِّل أن لا يتعامل بعنف أو بخشونة مع الطرف الآخر، وإنَّما يدع فُسحة من التسامح، حتى يبقى مجال الحوار مفتوحاً بين الطرفين في المستقبل.

٨-إنَّ محاولة التواصل مع الأشخاص المُعانِدين، الأشخاص المُتعالين المشاكسين ذوي العقليات الجاهلة ، يجب أن لا تتوقَّف، من قِبل المُصلِحين، وإنَّما تستمرُّ مع كثير من الصبر والتحمُّل.

٩-لقد أراد الإسلام المجيد أن يُربِّي أبناءه على مبدأ العفو والتسامح حتى مع مَن تكون ردود أفعاله سَمِجة وثقافته العامَّة ليست بالمستوى المطلوب، لأنَّ الجهل قد صنع منه إنساناً لا يُدرِك مفاهيم الحياة كما ينبغي.

١٠-(التكبُّر يهدِم السلام)، التكبُّر من الصفات الذميمة التي نهى عنها الإسلام المجيد، وأمرنا أن نكون متواضعين بعضنا للبعض الآخر، فالتواضع أساس بناء العلاقات الاجتماعية السليمة

بين الفرد والفرد، والفرد والمجتمع، والمجتمع مع المجتمعات الأخرى.

الفصل الرابع

ويتكوَّن من أربعة مباحث

المَبحث الأول:

أبناء الديانات السماوية.. والسلام معهم

المَبحث الثاني:

سمات.. أبناء الديانات السماوية

(مبحث تفسيري)

المَبحث الثالث:

لمفردات الكون.. نصيبها من السلام

المَبحث الرابع:

رحلة السلام.. رحلة الحياة

الفصل الرابع

المبحث الأوّل

أبناء الديانات السماوية.. والسلام معهم

أبناء الديانات السماوية والسلام معهم

نعيش السلام كما أراده اللهﷻ، نعيش السلام كمنهج إلهي للحياة، نعيش السلام مع الكون وما فيه، نعيش السلام مع الإنسان، وقبل كلِّ ذلك وبعد كلِّ ذلك: نعيش السلام مع أنفسنا، حتَّى نتمكَّن أن نعيش السلام مع كلِّ الآخر.

تحدَّث القرآن عن صور جميلة للتعامل مع الآخر وكلِّ الآخر، للتعامل مع الإنسان وكلِّ إنسان، للتعامل مع الإنسان الذي كرَّمه الله، وإنَّما نذكر هذه الآيات الكريمة ضمن كلامنا عن الإنسان بأنَّنا نريد أن تكون هذه الآيات، هذه النصوص أساساً لانطلاقاتنا في الحياة، ولهذا نستشهد بهذه الآيات كلما جاءت الضرورة للاستشهاد بها، وهو موضوع تكريم اللهﷻ للإنسان، فيقول (تَعَالَى):-

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ.... ﴾[1]

ولم يُحدِّدْ من أيِّ دين، من أيِّ قومية، من أيِّ طائفة، من أيِّ مذهب، وإنَّما جاءت الحكمة الإلهية أن يكون التكريم لبني آدم لآدميته، التكريم للإنسان لإنسانيته.

ولهذا هذه الآيات لابدَّ أن تكون منطلقاً لِمَن يتعامل مع الآخر،

---

[1] سورة الإسراء/آية/٧٠.

من أجل أن نعيش هذه الآية أكثر، ونعيش أبعادها، نقول: أنَّ الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون الإنسان الذي هو بني آدم خليفة اللهﷻ في الأرض، عندما قال (سبحانه وتعالى):-

﴿....إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً....﴾[١]

وكان الاستفسار في موضوع خَلْق الإنسان: لماذا تجعل فيها مَن يفسد فيها ويسفك الدماء؟!..

﴿.....قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ.....﴾[٢]

ولكن كان الجواب الإلهي:-

﴿....إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٣]

وقد جعلت هذه الآية الكريمة في النصِّ القرآني المبارك (مطلق الإنسان) هو خليفة لربِّ العالمين.. ومن أجل أن نعيش أهمية الإنسان عند ربِّ العالمين وعظمة مكانة الإنسان عند خالقه ومُوجده ومكوِّنه (كما نؤمن) جعل (سبحانه وتعالى):-

﴿....أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا.....﴾[٤]

---

[١] سورة البقرة/آية/٣٠.

[٢] سورة البقرة/آية/٣٠.

[٣] سورة البقرة/آية/٣٠.

[٤] سورة المائدة/آية/٣٢.

والنفس لم تُخصَّص بأبناء دين معيَّن أو قومية معيَّنة أو طائفة معيَّنة أو مذهب معيَّن.. وقد وَرَدَ في معنى الحديث الشريف: (لأن تُهدَم الكعبة حجراً حجراً أهون عند الله من أن يراق دم امرئ مسلم)

الأُخوَّة.. أنواع

هنا لابدَّ أن نذكر قول الإمام أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب عليه السلام في مفهوم الأخوَّة ضمن وصيته لمالك الأشتر:-

﴿الناس صنفان: إمَّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخَلْق﴾

كأنَّ هذه الآيات وهذه النصوص في التعامل مع الآخر تقصد **(نظير لك في الخَلْق)**، والتي عبَّرنا عنها بالأخوَّة الإنسانية.

وهناك أخوَّة على أساس الدين، أخوَّة على أساس الإيمان، أخوَّة منطلقها: من السماء، وهدفها: الإنسان، أخوَّة أبناء الديانات، أخوَّة أبناء الكتب السماوية، أخوَّة أتباع مناهج السماء، ولهذا عندما يقول الإمام عليه السلام:-

﴿الناس صنفان: إمَّا أخ لك في الدين﴾

يعني: في دين إلهي، في دين سماوي، في دين من الله سبحانه وتعالى، في دين من الربِّ، ربِّ العالمين.

والفقرة الثانية **(أو نظير لك في الخَلْق)** هي الفقرة الإنسانية.

ما بين.. بني الإنسان وأهل الإيمان

تحدَّثنا عن الروح الإنسانية في صور قرآنية متعـدِّدة، والآن نريد أن نتحدَّث وبشكل خاص عن العلاقة والأخوَّة والتعامـل مـع أبناء الديانات السماوية، مع أبناء الرسالات الإلهية، مع المؤمنين، مع مَن يتَّبع ديناً سماوياً إلهياً ربَّانياً، وإنَّما جاءت ضـرورة هـذا التأكيد، لأنَّ في الإنسان بشكل عام هناك مشترك الإنسـانية وهـو مشترك عظيم، مشترك الآدمية.

أمَّا بالنسبة لأبناء الديانات فبالإضافة إلى مشترك الإنسـانية، فهناك مشترك الإيمان، والإيمان يعني: الإيمان بالغيـب، الإيمـان باللهﷻ، والإيمان بالرسالة، والرسول، والإيمان بالآخرة، والعمـل الصالح وما يحمل من دوافع.

كلُّ ذلك هي مشتركات أبناء الرسالات، أبناء الديانات، أبنـاء الكتب السماوية، ولهذا عندما تكون هناك مشتركات متعدِّدة، لابـدَّ أن تكون علاقات أمتن، وأقوى، وهذه العلاقات الأمتن والأقوى هي الأساس مع الجميع، هنا ستكون درجات أقوى في التعامل، باعتبار وجود هذه المشتركات، باعتبار أنَّ هـؤلاء (أي أبنـاء الرسـالات السماوية) جمعتهم كلمة دين، والذي هو من مستلزماته: الإيمـان بالله وبالرسول وبالآخرة، وكذلك العمل من أجل الصالح العام.

إلى هذا المعنى تشير الآية القرآنية وتعطينا صـورة جميلـة

ورائعة في ضرورة وأهمية التعامل على الأسس المشتركة ما بينك وبين بقية الديانات كما جاء ذلك في سورة آل عمران:-

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ.....﴾[1]

كلُّ دين.. هو إسلام لله

الحقيقة أنَّ كلمة الإسلام عندما ذكرنا ذلك هي الكلمة التي أطلقها أبو الأنبياء إبراهيم(عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام)، أطلقها على كلِّ الديانات التي تأتي بعده، وباعتبار أنَّ الإسلام هو الديانة السماوية الخاتمة، ولهذا صار اسماً وشعاراً وعنواناً لها، وعندما جعل الإسلام وكلمة الإسلام عنواناً لكلِّ الديانات والرسالات السماوية يعني: أنَّ هناك مشتركات ما بين كلِّ هذه الديانات السماوية.

هذه المشتركات تعطيها كلمة الإسلام، لأنَّ كلمة الإسلام تعني: الاستسلام لله ﷻ، والذي لا يمكن أن يتمَّ إلاَّ بالإيمان، لابدَّ أن يكون مؤمناً بالله حتَّى يستسلم إليه، وأن يُفوِّض له أمره، لابدَّ أن يكون مؤمناً بالله، حتَّى يؤمن برسوله، والرسالة التي جاء بها، لابدَّ أن يكون مؤمناً بالله ﷻ، حتَّى يؤمن بالآخرة.

إذن، معنى كلمة الدين، وكلمة الإسلام هو:

كلمة الدين هي: المنهج.

---

[1] سورة آل عمران/آية/١٩.

كلمة الإسلام والتي أُخذِت من السلام تعني: الاستسلام الكامل لله ﷻ، ودائماً المطلوب هو: أنَّ أبناء الديانات السماوية المؤمنين يكونون مستسلمين لله ﷻ، إنَّ كلَّ دينٍ سماوي هو دعوة إلى توحيد الله تعالى وتنظيم الحياة البشرية بشكلٍ صحيح، لأنَّ كلَّ دين يعني: الاستسلام لله ﷻ، والالتزام بمنهجه.

لهذا نرى أنَّ الآية الكريمة تُؤكِّد (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) ويمكن أن يكون في كلِّ دين عدَّة صُوَر لفهم بعض نصوصه، ولهذا نرى أنَّ كثيراً من الديانات حصلت فيها طوائف متعدِّدة، وحصلت فيها مذاهب متعدِّدة، نتيجة اختلاف الفهم للرسالة، ودائماً الإسلام يتبنَّى احترام رأي الآخر، ومدرسة أهل البيت(عليهم السلام) تُؤكِّد على ضرورة احترام الرأي الآخر، هذا الاختلاف بالفهم نستشعره من تتمَّة الآية الكريمة:-

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1]

وكأنَّه هناك، حصل فهم متعدِّد ومنه انبثقت الطوائف والمذاهب في كلِّ دين، ولكن كلَّ هذه الآراء لم تصل إلى مسألة الكفر بالله، فهم جميعاً مستسلمون ولكن دخل مقدار فهمهم على التزامهم بالمنهج الإلهي، وعلى قدر استسلامهم لله ﷻ، ولهذا تقول

---

[1] سورة آل عمران/آية/١٩.

الآية:-

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[١]

وكأنَّه يقول: الاختلاف ليس يعني بالضرورة الكفر، ولهذا عندما تحصل محاججة، مناقشة، حوار، تحاور ما بينك وبين الآخر من الذين أسلموا لله ﷻ من أبناء الديانات السماوية، بكلِّ طوائفهم، بكلِّ مدارسهم، (فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ)[٢].

في وقت الحوار لا تطعن الآخر، وإنَّما أكِّد استسلامك لله ﷻ، وسيأتي ما يُؤكِّد احترام الرأي الآخر من أبناء الديانات السماوية.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[٣]

لقد بيَّنا في تفسيرنا (البيان والتبيان في تفسير وتنزيل القرآن)/ج٣٠/ص(٢١٥-٢١٦) وضمن التفسير المسترسل ما يلي:-

((﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ في الدين ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ﴾ أخلصتُ نفسي، عبَّر به عن النفس لأنَّه أشرف الأعضاء ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾

---

[١] سورة آل عمران/آية/١٩.

[٢] سورة آل عمران/آية/٢٠.

[٣] سورة آل عمران/آية/٢٠.

عطف على التاء وحسن للفصل ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ﴾ مَن لا كتاب لهم كمشركي العرب ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾ بعد وضوح الحجج أم كنتم على كفركم، وفيه توبيخ لهم بالمعاندة ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ﴾ نفعوا أنفسهم بإخراجها من الضلال ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ لم يضرُّوك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾ لا الجدال ولا الإجبار على الإسلام ﴿وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ تهديد لمَن لا يُسلِم.)) (انتهى).

وكما أنت تقول عن نفسك (أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ) يعني: أنَّك قد استسلمتَ لله ﷻ، فاسأل الآخر: هل هو قد استسلم لله ﷻ؟!.. ولهذا الآية تقول للنَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم):-

(وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ) يعني: أبناء الديانات، (وَالأُمِّيِّينَ) حتَّى مَن لم يقرأ ولم يكتب، (أَأَسْلَمْتُمْ): لابدَّ أن تسألهم: أنتم أبناء ديانات وأبناء رسالات سماوية وأبناء كتب ومناهج إلهية: أأسلمتم لدياناتكم، لكتبكم السماوية، لمناهجكم الربَّانية؟!..

فإذا كان الجواب:

نحن أسلمنا لله (فَإِنْ أَسْلَمُواْ) يعني: كان الجواب بعد السؤال: استسلمنا لله.. (فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ)، إن أسلموا وادَّعوا أنَّهم أسلموا أمرهم لله ﷻ، واستسلموا للمنهج الإلهي والإرادة الإلهية فقد اهتدوا..

وهذا يُذكِّرنا بالآية الكريمة والتي سنستشهد بها أكثر من مرَّة، والتي تُعطِينا تعريف الأُخوَّة الإيمانية، الأُخوَّة ما بين أبناء

الديانات السماوية، وهي:-

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ....﴾[١]

يعني: كلّ الذين آمنوا بالله من أبناء الإسلام، لابدَّ أن يشعروا أنَّهم إخوة ومتآخون.

لقد جاء في تفسيرنا (البيان والتبيان في تفسير وتنزيل القرآن)/ج٣٨/ص٢٥ وضمن فصل التفسير المسترسل في تفسير قوله (تَعَالَى):-

((﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا تخاصما والتنبيه بحسب الأغلب ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في جميع الأمور ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بتقواكم)) (انتهى).

ولتوضيح أبعاد الآية الكريم نؤكِّد:

أولاً: إنَّ الإيمان مسألة فِطرية جعلها الله سُبْحَانَهُ في تكوين الإنسان حين خلقه، ولهذا يقول النبيُّ الأعظم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم):-

﴿كلُّ مولودٍ يُولَد على الفِطرة﴾

والتي هي الإيمان، وهي المقصودة في قوله تعالى:-

﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾[٢]

ثانياً: ما دام أنَّ جميع مَن يُولَد هو مؤمن، إذن المطلوب: أخوَّة ضمن أبناء الدين الواحد، وأخوَّة ضمن أبناء الديانات، وأُخوَّة

---

[١] سورة الحجرات/آية/١٠.

[٢] سورة الروم/آية/٣٠.

بين الناس جميعاً. فالكلُّ سواسية لقول النبيِّ(عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ):-

﴿أبناء آدم كأسنان المُشط﴾

وفيه معنى الأُخوَّة والتساوي.

لقد جاء في كتاب (أخلاق أهل البيت(ع))/للسيد مهدي الصدر/ص٦٨ بخصوص تفسير قوله تَعَالَى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** ما يلي:-

((وطَفِق القرآن الكريم يغرس في نفوس المسلمين (المؤمنين) مفاهيم التآخي الروحي، مُركِّزاً على ذلك بآياته العديدة وأساليبه الحكيمة الفذَّة، فمرة شرَّع التآخي ليكون قانوناً للمسلمين (المؤمنين) **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**، وأخرى يؤكِّد عليه مُحذِّراً من عوامل الفُرْقة، ومُذكِّراً نعمة التآلف والتآخي الإسلامي (الإيماني) بعد طول التناكر والتناحُر الجاهليين... وهكذا جَهَد الإسلام في تعزيز التآخي الروحي وحماه من نوازع الفُرقة والا نقسام بما شرَّعه من دستور الروابط الاجتماعية في نظامه الخالد)) (انتهى).

الفصل الرابع

المبحث الثاني

سِمَات.. أبناء الديانات السماوية

(مَبْحَثٌ تفسيري)

سِمَات.. أبناء الديانات السماوية

هنا نذهب إلى الآية الأخرى التي تُوضِّح لنا مَن هم؟.. فنرى قوله (سبحانه وتعالى):-

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]

لقد ذكرنا في تفسيرنا (البيان والتبيان في تفسير وتنزيل القرآن)/ج٢٧/ص١٨٥-١٨٦ وضمن فصل التفسير المسترسل ما يلي:-

((**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾** من المسلمين **﴿وَالَّذِينَ هَادُواْ﴾** يُقال هادوا، تهوَّد: إذا دخل في اليهودية **﴿وَالنَّصَارَى﴾** جمع نصراني **﴿وَالصَّابِئِينَ﴾** أتباع يحيى **﴿مَنْ آمَنَ﴾** منهم ونزع عن كفره **﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾** أي: بالمبدأ والمعاد **﴿وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾** الذي يستوجبونه على الإيمان والعمل عند ربهم **﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾** من العقاب **﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** على فَوت الثواب)) (انتهى).

وَرَد في تفسير (التبيان في تفسير القرآن) للشيخ الآلوسي/ج١/ص٣٥٤ وما بعدها ما يلي:-

---

[1] سورة البقرة/آية/٦٢.

((أمَّا الذين آمنوا: هم المصدِّقون برسول الله (صلّى اللهُ عَلَيْـهِ وآلِـهِ وَسَـلَّمَ) بما أتاهم من الحق من عند الله. وأمَّـا الـذين هـادوا فهـم اليهود... والنصارى: سُمُّوا نصارى لنصرة بعضهم بعضاً... وقيل إنَّما سُمُّوا بذلك لأنَّهم نزلوا أرضاً يقال لها: ناصرة، وكان ينزلهـا عيسى فنُسِب إليها، فقيل عيسى الناصري، ثم نُسِب أصحابه إليـه فقيل النصـارى... وقيل إنَّهم سُـمُّوا بذلك لقوله: ﴿**مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ**﴾ ..... (الصابئ) صبا يصبو: إذا مال إلى الشيء وأحبَّه.

وقوله: ﴿**مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾ المعنى:

تقول: مَن صدَّق بالله وأقرَّ بالبعث بعد الممات يـوم القيامـة وعمل صالحاً وأطاع الله، فلهم أجرهم عند ربِّهـم: يعنـي ثـواب عملهم الصالح وأطاع الله فلهم أجرهم عند ربِّهم يعني ثواب عملهم الصالح... ومعنى الكلام: إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصـارى والصابئين من يؤمن بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربِّهـم ولا خوف عليهم.

ولهذا الآية التي بين أيدينا تقول:-

﴿**فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ**﴾

أسلموا لدياناتهم.

﴿**وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾

نرى تأكيداً للمفاهيم التي طرحناها في سورة المائدة، المفاهيم

التي طرحناها: هي عبارة عن الإيمان باللهﷻ، الإيمان بالرسول، الإيمان بالرسالة، الإيمان بالمنهج، الإيمان بالآخرة.

إنَّ مسألة الإسلام والاستسلام للهﷻ، وهناك من أبناء الديانات مَن تفاعلَ إلى أعلى الدرجات مع موضوع الاستسلام للهﷻ، وفعَّل فطرته الإيمانية إلى أعلى المستويات، ولهذا تقول الآية القرآنية في سورة المائدة:-

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي.....﴾[١]

وهو موضوع المسائل المشتركة: الإيمان بالله تعالى أولاً، ومنه ينبثق الإيمان بالرسول ومن ثمَّ الرسالة، ومن ثمَّ الآخرة، ومن ثمَّ العمل الصالح الذي دافعه السماء.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي....﴾[٢]

الرسول الذي يحمل المنهج الإلهي، فكان جواب الحواريين:-

﴿.... قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[٣]

من المعلوم والواضح: أنَّ الحواريين كانوا من أتباع عيسىعليه السلام، مَن صحب عيسى بن مريم(عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام)، ولكن:-

﴿....قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾

(مُسْلِمُونَ) بمعنى: أنَّنا استسلمنا لك يا ربَّنا، بمعنى: أنَّنا استسلمنا لإيماننا وما يريده إيماننا منَّا: من الإيمان بالرسول

---

[١] سورة المائدة/آية/١١١.

[٢] سورة المائدة/آية/١١١.

[٣] سورة المائدة/آية/١١١.

والرسالة، والإيمان بالآخرة، والإيمان بضرورة العمل الصالح بدوافع سماوية.

هؤلاء الذين يكون جوابهم: (آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ)، عبَّرت عنهم الآية الكريمة بـ(الْحَوَارِيِّينَ)، يعني: أصحاب رسالة عيسى عليه السلام، وحَمَلَة رسالته. هؤلاء الذين تقصدهم الآية الكريمة:-

﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]

الجانب النظري: وهو الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالرسول، والإيمان بالآخرة، هو يجعلهم مؤمنين ولهم أجرهم.

وعندما يترجمون هذا الإيمان بالعمل الصالح الذي دوافعه سماوية إلهية ربَّانية، يكون أجرهم مرتين.

وبهذا نفهم المقطع الأول من الآية الكريمة:-

﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾

دائماً نقل النظرية إلى عمل، إلى حياة، إلى منهج سلوك يحتاج إلى صبر، ولهذا تقول الآية الكريمة:-

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾

ودائماً مَن يحمل رسالة ويحاول أن يترجمها إلى مفردات حياتية، يرى الكثير، والكثير أو البعض من الكثير وذلك باختلاف

---

[1] سورة القصص/آية/٥٤.

المجتمعات، باختلاف مستويات التعنُّت والرفض وعدم الرضا، إذن هنا يحتاج إلى:

أولاً: الصبر.

ثانياً: يدرأ بالحسنة السيئة.

سواء كانت سيئات قد صدرت منه في تصرفه مع الآخرين فيدرؤها بالحسنة، أو كانت سيئات صدرت من الآخرين له فيدرؤها بالحسنة.

﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾

ودائماً الإنفاق يعني: أن يُقدِّم الإنسان في حياته لآخرته، ومن هنا يبدأ الإيمان بالآخرة.

لأنَّ الإنفاق هو مسألة مخالفة هوى النفس، إلاَّ إذا كانت النفس كما خَلَقها اللهﷻ غير مجرثمة بالبيئة والمجتمعات.. يعني: تؤمن باللهﷻ، يعني: تؤمن بالآخرة، عند ذلك تكون لديها دوافع للإنفاق.

ولهذا تتمَّة الآية المباركة ترسم صورة أبناء الرسالات السماوية، المؤمنين بالله والمؤمنين بالرسول، والمؤمنين بالآخرة، والمؤمنين بضرورة العمل الصالح الذي يحمل دوافع سماوية هي:-

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾

نحو.. سلام شامل

التعامل مع أبناء الديانات السماوية (سواءاً كان في وقت حوار وجدال، أو التعامل الطبيعي في الحياة الاعتيادية) لابدَّ أن يكون على أساس السلام معهم، وأن تلتفت إلى المشتركات التي ما بينك وبينهم.

هذه المشتركات التي يُعبِّر عنها الإمام أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب(عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر حيث قال (عليه السلام):-

﴿ ....ولا تكونَنَّ عليهم سبُعاً ضارياً تغتنم أُكلهم، فإنَّهم صنفان: إمَّا أخ لك في الدين وإمَّا نظير لك في الخَلق﴾

هذا التعامل لابدَّ أن يكون حسب التعبير القرآني بأجمل صورِهِ، التعبير القرآني لهذه الصورة الجميلة هو:-

﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ....﴾[1]

لهذا فالقرآن الكريم يأمرنا ألاَّ نتعامل مع أبناء الديانات السماوية إلاَّ بالتي هي أحسن، يعني: بكلِّ أخلاق، بكلِّ احترام، بكلِّ تقدير، لا تطعنه في عقائده، في رأيه.

فمن الممكن أن إذا هو أراد أن تتحاور معه، أن تتناقش معه، ولكن لا تطعنه في عقيدته ولا في رأيه أو معتقده.

---

[1] سورة العنكبوت/آية/٤٦.

لهذا الآية الكريمة تقول:-

﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1]

(وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ) يعني: أبناء الديانات **(إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)**: إلاَّ الذين ابتعدوا عن ديانتهم، عن تعاليم دينهم، عن إيمانهم.. هنا من باب النصيحة يمكن أن تحاول إعادته إلى حضيرة الدين وحضيرة الإيمان، لأنَّه عدم إيمانه بدينه ذلك ظلم لنفسه، **(إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)**.

أمَّا بشكل عام، فالتعامل مع أبناء الديانات السماوية لابدَّ أن يكون بالكلمة الطيِّبة، بالمحبَّة، بالسلام، بالتي هي أحسن، وكما بيَّنَّا في بداية الحديث عن هذه الصورة القرآنية الرائعة التي تُجسِّد الاعتراف بالآخر واحترام الرأي الآخر، واحترام آراء أبناء الديانات... كلُّ ذلك من أجل تأكيد سلام ما بين أبناء الإيمان، وسلام ما بين أبناء الإنسانية، هذا الاعتراف والاحترام لآرائهم نفهمه من تتمَّة الآية الكريمة:-

﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

فأنا أؤمن بالنَّبيِّ الذي جاءني وما يحمل من رسالة إلهية،

---

[1] سورة العنكبوت/آية/٤٦.

وأؤمن بالنَّبيِّ الذي جاءك وما يحمل من رسالة إلهية، ولو أنَّني من أبناء دين وأنت من أبناء دين آخر، ولكن إلهنا واحد، وأنا وأنت ممَّن أسلم واستسلم لله ﷻ كلٌّ حسب ديانته.

نعود إلى الآية الكريمة من أجل أن نستجمع المفردات ونطبِّقها على النصِّ المقدس الشريف:-

﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

مفردة التحاور مع الآخر بالسلام وبالتي هي أحسن:

أولاً: جاءت عامَّة: مع كلِّ إنسان، كما في قوله سُبْحَانَهُ:-

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]

ثانياً: جاءت خاصَّة مع أبناء الديانات السماوية، والالتفات إلى المشتركات، وهي: مسألة الإيمان بالله، والإيمان بالرسول والمنهج، والإيمان بالآخرة، والعمل الصالح الذي هو يعني: الاستسلام لله ﷻ بأن تكون دوافعه دوافع سماوية ربَّانية، والتأكيد على أنَّ الدين والاستسلام لله ﷻ هو الذي يجمعنا، وأنَّ إلهنا وإلهكم واحد، وأنَّ كلَّ أبناء الديانات السماوية مَن آمن بالله ﷻ هو مَن قد أسلم بكلِّه لله ﷻ، كما في قوله (سبحانه وتعالى):-

---

[1] سورة فصلت/آية/٣٣.

﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

أمَّا مع الإنسان الآخر ليس بالضرورة أن تلتفت إلى المشتركات العقائدية بينك وبينه، وإنَّما تلتفت فقط إلى الجانب الإنساني، المشترك الإنساني، ولهذا تقول الآية الكريمة:-

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]

والآية ليس فيها تعميم ما بين المتكلم والمخاطب، بعكس تلك الآية الكريمة:-

﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

وجاءت، أنَّ الاستسلام من الجميع بكلمة (**وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**) يعني: إلهنا وإلهكم واحد والجميع له مسلمون.

أمَّا الآية الأخرى التي هي مع الإنسان الآخر وليس بالضرورة أن يكون من أبناء الديانات لابدَّ أن تدعوه إلى الله ﷻ من دون أن تفرض عليه، وتدعوه إلى الله ﷻ ليس بقولك الحسن فقط وإنَّما بقولك الحسن وعملك الحسن، ومن ثمَّ تقول: إنَّني من المسلمين،

---

[1] سورة فصلت/آية/٣٣.

ممَّن أسلم وجهه وأجزاءه وأعضاءه، ممَّن أسلم كلَّه لله ﷻ.

بهذا يعطينا القرآن الكريم صورة جميلة رائعة لمفهوم السلام ما بين أبناء الإسلام وأبناء الديانات السماوية، أبناء الرسالات الإلهية بشكل عام، وكيف نتعامل معهم، وكيف نتحاور معهم، كلُّ ذلك من أجل تأكيد ثقافة السلام ومع الجميع.

الفصل الرابع

المبحث الثالث

لمفردات الكون.. نصيبها من السلام

لِـمفردات الكون
نَصيبها من السلام

نتنقل مع السلام في المحطات، ونتعايش مع السلام ضمن السلام المطلق الذي هو اللهﷻ، وضمن ما أعطاه لنا من صُوَر حياتية للسلام ما بين الإنسان والإنسان الآخر، وكلِّ الإنسان الآخر، وخصوصاً أبناء الإيمان، أبناء السماء، أبناء الديانات الإلهية، أبناء الرسالات الربَّانية، ومن ثمَّ كيف السلام مع الكون وما فيه؟!.. كيف السلام مع الوعاء الإلهي الإنساني؟!.. كيف السلام مع البيت الكبير الذي هو الكون للإنسان؟!..

السلام مع الكون يأتي على صور متعدِّدة، من أهمِّ هذه الصور: هي صور السلام مع مفردات الكون، صور السلام مع ما هو موجود في الكون.

فاللهﷻ عندما جعل الكون وعاءاً للإنسان، وضعَ فيه كلَّ أسباب السعادة للإنسان، كلَّ أسباب الراحة للإنسان، فاللهﷻ وكما يُؤكِّد لنا القرآن الكريم، وكما نُؤكِّده دائماً في محاضراتنا وأحاديثنا، اللهﷻ أحبَّ الإنسان وخَلَقه، وعندما خَلَقه وهو يحبُّه إذن وضع له كلَّ أسباب السعادة في الحياة، الراحة في الحياة، الخير في الحياة، كلَّ أسباب السلام في الحياة، ووضعَ في داخله (أي في داخل

الإنسان) الطاقات والقابليات والقدرة على تفعيلها من أجل التعايش السِّلْمي مع الكون وما فيه، ومن أجل سعادة الإنسان، أي من أجل سعادته وراحته وشعوره بتكريم اللهﷻ إليه، وشعوره بنِعَم الله عليه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى.

لهذا نرى أنَّه ضمن مبدأ السلام الإلهي الذي أراده للإنسان، وضعَ فيه كلَّ القابليات والاستعدادت بأن يعيش ثقافة السلام مع كلِّ المفردات، ثقافة السلام مع الكون وما فيه، ولهذا نرى أنَّ المنهج الإلهي في تربيته للإنسان على ثقافة السلام وَجَّه نظره واهتمامه والتفاته إلى المفردات التي يجب أن يعيش السلام معها، وقرَّب ذلك للإنسان بتقريبات متعدِّدة، فيها صور إلهية جميلة رائعة، صور إلهية إعجازية بالغة في الجمال والروعة.

حتَّى الحيوان.. يأمل منَّا السلام

لهذا من المفردات الأساسية والرئيسية التي أراد اللهﷻ أن تكون ضمن تعامل الإنسان بمبدأ السلام وتطبيقه لثقافة السلام هو: تعامله مع الحيوان.

لهذا نرى القرآن الكريم وفي آيات كثيرة يذكر الحيوان، ويذكره بعدَّة اتجاهات وصُوَر، فمرة يذكره ضمن نِعَم اللهﷻ على الإنسان، وكيف أنَّ اللهﷻ لحبِّه للإنسان وفَّر له كلَّ أسباب السعادة والراحة والنِّعَم المختلفة، ومن هذه النِّعَم هي: نعمة وجود الحيوان،

وأراد أن تكون العلاقة ما بين الإنسان والحيوان علاقة سلام، وعلاقة رحمة.

كأنَّ الله ﷻ عندما أراد من الإنسان أن يكون رحيماً بالحيوان، يريد أن يُدلَّل على أنَّ جواز ذبح الحيوان من أجل الإنسان، محبَّة للإنسان وليس تقليلاً من شأن الحيوان، ولهذا أراد من الإنسان أن يكون رحيماً بالحيوان، وأراد من الإنسان أن يكون تعامله مع الحيوان تعاملاً إنسانياً، وكما يعلم الجميع أنَّ تعريف الإنسان: هو حيوان ناطق.

إذن، نحن مع الحيوان نجتمع بالروح والنفس، ونختلف بالعقل، والعقل هو موهبة ربَّانية إلهية، إذن تفضيلنا على الحيوان بإعطاء العقل لنا، هو لطف إلهي، هذا اللطف الإلهي، يريد منَّا الله ﷻ كذلك أن نُوظِّفه في رحمة الحيوان، وفي السلام مع الحيوان.

لهذا، نرى النصَّ القرآني الكريم في سورة النحل، يُعدِّد أهمية منافع الحيوان من أجل سعادة الإنسان وراحته كألطاف إلهية، وكأنَّ المطلوب: أنَّ تُقابَل هذه الألطاف الإلهية برحمة الإنسان للحيوان، بتطبيق ثقافة السلام في علاقة الإنسان مع الحيوان.

لأنَّ الإرادة الإلهية أرادت من الإنسان أن يكون إنسانياً في تصرفه مع كلِّ شيء، ولكن باعتبار أنَّ أهمَّ الأشياء في الحياة هو الإنسان الآخر، ولهذا أكَّدت على الإنسان الآخر والسلام معه، ولكن

من الأشياء المهمَّة كذلك في الحياة هو الحيوان، وله دور كبير في حياة المجتمعات والأمم ككلٍّ.

إذن، لنِعَم الله ﷻ على الحيوان، ولدور الحيوان في سعادة الإنسان، المطلوب: أن نعيش السلام والرحمة معه.

دور الحيوان.. في حياة الإنسان

الله ﷻ يُنبِّه الإنسان إلى منافع الحيوان التي وضعها فيه من أجل الإنسان وخدمة الإنسان وسعادة للإنسان، فيقول:-

﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[١]

كأنَّ الآية الكريمة بدأت بالخاص ثمَّ انتقلت إلى العام، ولهذا قالت: هذه الأنعام كلُّها منافع لكم، كلُّها أسباب للسعادة والراحة للإنسان.

ففيها: دفء لكم، دائماً جلود الأنعام هي من أسباب دفء الإنسان عند برده ومن قديم الزمان، وتطورت هذه الحالة مع تطور الزمان ومع تطور الحياة، إلى أن وصلت إلى مستويات عالية مع التكنولوجيا الحديثة.

ومن أهمِّ الأمور في سعادة الإنسان في الحياة الدنيا: الدفء عند البرد، فالإنسان لا يتمكَّن أن يعيش براحة وسعادة مع عدم وجود دفء له، وخصوصاً في المناطق الباردة والقريبة من

---

[١] سورة النحل/آية/٥.

القطب، فكلما قرُب الإنسان من القطب تكون الحاجة إلى الدفء أكثر لأنَّ درجة الحرارة تنخفض جداً.

وبشكل عام، الدفء يكون من جلود الأنعام، ولهذا الآية الكريمة تلفت أنظار الناس جميعاً وتقول:-

﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾

معنى (لَكُمْ): يا أيُّها الناس، فهي تريد أن تلفت أنظار الناس جميعاً إلى هذه النعمة الإلهية، وأنَّ هذه النعمة الإلهية هي الأنعام، وهي من أهمِّ أسباب راحة الإنسان.

فهي فيها دفء لكم، هذا المعنى الخاص، ومن ثمَّ انتقلت إلى المعنى العام: كأنَّه الأنعام ليس فقط هذه فائدتها، وإنَّما فوائدها كثيرة، وأنَّ فيها منافع مطلقة عامة، وهذا الإطلاق يعني: أنَّ منافعها يمكن أن لا تنتهي، إمَّا بمعنى: أنَّ الحاجة إليها لا تنتهي، وإمَّا بمعنى: أنَّه ستكون اكتشافات جديدة لمنافعها، كما حصل هذا بالنسبة للمكتشفات العلمية الحديثة في عالَم الحيوان، وما في بعض أجزاء الحيوان من منافع للإنسان كدواء وعلاج.

ولا ندري ولا أحد يدري ما سيظهر لها من مصاديق جديدة للمنافع، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ أوضح هذه المنافع الحياتية الرئيسية المهمَّة والتي هي من أسباب سعادة الإنسان هو: أكله، شبعه، فمسألة الأكل هي نتيجة وجود غريزة في الإنسان، حاجة، وكأنَّ هذه الحاجة من أهمِّ أسباب إشباعها هي: الأنعام.

لهذا يقول (سبحانه وتعالى):-

﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾

من المفيد أن نُؤكِّد على أنَّ جواز ذباحتها ومن ثمَّ أكلها ليس استهانة بها، وإنَّما تكريم للإنسان، فالمطلوب من الإنسان: أن يُقدِّر هذا التكريم، وأن يتعامل مع هذا التكريم برحمة مع الحيوان، وأن يعيش معه بسلام.

بعد ذلك، تلتفت الآية الكريمة إلى مسألة حياتية رئيسية مهمَّة في حياة الإنسان وسعادته وراحته، وهي:-

إنَّ الإنسان في كلِّ زمان وفي كلِّ مكان، يحيى بالتجوال، لطلب العلم وخصوصاً في فترات زمنية معيَّنة كان من ضروریاته السفر، والتجوال في كثير من الأمكنة في العالَم، الذهاب إلى الماء وإلى الخضراء، يحتاج في كثير من الأماكن إلى التجوال، إلى هذه النقطة المهمَّة في حياة الإنسان، تذكر الآية الكريمة بعد أن كانت الأنعام دفء ومنافع لا تُعدُّ ولا تُحصى لأنَّها مطلقة، ومنها تأكلون، كذلك هي سبب لسعادتكم في تجولكم.. لهذا تقول الآية الكريمة:-

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[١]

كأنَّ الإنسان بحاجة إلى أن يريح نفسه أثناء التجوال ما بين المنطقة والمنطقة الأخرى، أو الذهاب إلى مكان فيه ماء وخضراء، وهنا يحتاج إلى ركوب الحيوان، ودائماً ركوب الحيوان ممَّا يُجمِّل

---

[١] سورة النحل/آية/٦.

الإنسان، وخصوصاً الخيل، التي هي عروس الحيوانات، ففيها معنى لتجمُّل الإنسان، ومن ثمَّ فيها معنى من معاني سعادة الإنسان وراحة الإنسان.. لهذا تقول الآية الكريمة:-

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾

وهكذا نرى أنَّ السلام مع الحيوان هو جزء من التربية الإلهية للإنسان، ولهذا القرآن الكريم يُذكِّرنا وبشكل عملي وحياتي عن منافع الحيوان وأثر الحيوان في حياة الإنسان، والمجالات الكثيرة والمتعدِّدة التي يعمل فيها من أجل خدمة الإنسان، ومن ثمَّ سعادة الإنسان واستقراره في الحياة الدنيا.

لهذا ذكرت الآية الكريمة: فيها دفء وفيها منافع ومنها تأكلون، وهي جمال بحدِّ ذاتها، يعني: تتجمَّلون بها، وهي جمال لكم حين تستعملونها، وكيف أنَّها ترفع عنكم حمل أثقالكم من مكان إلى مكان آخر، وخصوصاً في المسافات البعيدة، في الأسفار.

لأنَّ الحيوانات دائماً هي الأقدر على صعود الأماكن العالية، فهي تكون سبباً مساعداً كبيراً لوصول الإنسان إلى الأماكن العالية، وكذلك لوصول أثقال الإنسان إلى الأماكن العالية.

هذا المعنى الذي تُعبِّر عنه الآية المباركة:-

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]

[1] سورة النحل/آية/٧.

(يعني: من مصاديق معنى الآية الكريمة) ولهذا من الممكن أن نتصور: أنَّ الإنسان إذا صعد جبلاً، فكم يتحمَّل من المشقَّة؟!.. بعكس إذا ركب إحدى الحيوانات التي تحمله، فكيف إذا كان معه أثقالاً، فمرة هو يحملها وعليه أن يوصلها إلى الأماكن العالية، ومرة يضعها على ظهر حيوان ويسير بها.

كأنَّ الآية الكريمة تريد أن تقول: كأنَّ إنَّ تلك من منافع الحيوان أنَّه يوصلكم أنتم وأثقالكم إلى مكان يشقُّ عليكم الوصول إليه.

ما أسباب الرأفة.. بالحيوان؟..

بعد ذلك تقول الآية الكريمة:-

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

هنا نفهم من الآية الكريمة أمرين:

الأمر الأول: إنَّ هذا التسخير الإلهي للحيوان من أجل الإنسان هو رأفة بالإنسان، ورحمة إلهية للإنسان، ومن أجل سعادته، ومن أجل راحته.

الأمر الثاني: الله ﷻ يريد أن يقول للإنسان: إنَّ هذا الحيوان الذي يعطيك كلَّ شيء، وبالتأكيد أنَّ الأمور التي يُقدمها الحيوان للإنسان بحسب الفطرة التي أودعها الله ﷻ فيه والاستعدادات الجسمانية، وبالنتيجة يكون الحيوان هو الوسيلة في هذه الجوانب

الإيجابية لخدمة الإنسان، سواءاً كان الدفء، أو المنافع الكثيرة، أو الأكل منها، أو الوصول بها ومعها إلى الأماكن التي يصعب الوصول إليها، وكيف أنَّ الإنسان يذهب بها ويعود بها، وهي جمال له ويتجمَّل بها، كلُّ هذه الأمور لابدَّ أن تكون من أسباب الرأفة والرحمة بالحيوان.

ومن باب التقريب: يمكن أن نقول: كأنَّ هذه الخدمات تصدر من الحيوان وبالتأكيد هو يبذل طاقة، وبالتأكيد هو يشعر بتعب، لأنَّه يمتلك نفساً ويمتلك روحاً، ولهذا هو يمرض، إذن تأتي القاعدة القرآنية والتي تقول:-

﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾[١]

فنرى أنَّ الحيوان (كما تُبيِّن الآيات الكريمة) هو سبب لسعادة الإنسان في كثير من الأمور، فعندما يكون الحيوان بهذه المثابة، كيف نجازيه؟!.. (**هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**) هو سبب للإحسان إلينا من ربِّ العالمين، ولكن هذا السبب لابدَّ أن نتعامل معه برأفة، ونتعامل معه برحمة.. لهذا هناك قول من الأقوال التي يمكن أن تقال في تفسير الآية الكريمة:-

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[٢]

أنَّها ترفع شكوى إلى اللهﷻ، تشتكي لربِّ العالمين ممَّن آذاها

---

[١] سورة الرحمن/آية/٦٠.

[٢] سورة التكوير/آية/٥.

وظلمها، بمعنى: أنَّه استعملها من دون رأفة، ومن دون رحمة، لأنَّ عين الإستعمال ليس خلاف الرحمة والرأفة، فالله ﷻ أعدَّها للإنسان من أجل أن يستعملها، ولكن وبعد أن يُبيِّن له كلَّ هذه الأنواع من المنافع لابدَّ أن يتعامل معها برأفة ورحمة، ولهذا يقول (عزَّ من قائل) في سورة النحل/آية/٧:-

﴿.... إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

رَءُوف رحيم بالإنسان لأنَّه أعطاه خدمة الحيوان له، وكذلك يريد من الإنسان الرأفة والرحمة بالحيوان لأنَّ الله يرأف بكلِّ خَلْقه ومنه الحيوان، إذن لابدَّ للإنسان أن يكون رءُوفاً رحيماً بالحيوان.

لهذا فالأحاديث الكثيرة التي رُويت عن النَّبيِّ الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) وروايات الأئمَّة(عليهم السلام) الذين عايشوا النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، وهم: الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، والإمام الحسن، والإمام الحسين(عليهم السلام)، لهم أقوال متعدِّدة، منها:-

﴿ما رأينا النَّبيِّ يضرب دابَّة﴾

وهكذا عن الصحابة الأجلاَّء، وعلى نفس المنهج كان الأئمَّة الطاهرون(عليهم السلام)، وقد وَرَدَ عن الإمام عليِّ بن الحسين زين العابدين، أنَّه حجَّ على دابَّة عشرين حجَّة، ولم يضربها بسوط.. وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال:-

﴿قال عليُّ بن الحسين عليه السلام لابنه محمَّد عليه السلام حين حضرته الوفاة: إنِّي قد حججت على ناقتي هذه عشرين حجَّة، فلم أقرعها بسوط قرعة، فإذا نَفَقَتْ، فادفنها، لا تأكل

لحمها السباع﴾

يعني: كان تعامله مع الحيوان تعاملاً مثالياً، كلُّه رأفة، كلُّه رحمة، وعدم ظلم للحيوان. لأنَّ مادة الظلم مرفوضة مع كلِّ أحد، مع كلِّ شيء. مادة الظلم مرفوضة حتَّى مع الجماد، حتَّى مع الأرض، حتَّى مع التراب، فكلُّ شيء يجرُّ الإنسان إلى مفردة الظلم هو سيئة.

للحيوان.. قصص قرآنية

الرأفة والرحمة هي عبارة عن السلام، وهذا ما نراه في سورة البقرة، وكيف أنَّ البقرة التي اختارها نبيُّ الله موسى عليه السلام وكان بنو إسرائيل يريدون التوضيح الأكثر وإضافة الشروط الأكثر فالأكثر، إلى أن قال (سبحانه وتعالى) على لسان نبيِّه الكريم عليه السلام:-

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾[1]

هنا لابدَّ أن نلتفت إلى أمرين:

الأمر الأول: إنَّ الذي أسلمَ عنانه لله تعالى لابدَّ أن يستشعر معه بسلام، ومفهوم الاستسلام لله وإن كان بالنسبة للحيوان استسلاماً من دون إرادته، واستسلاماً فطرياً، ولكن مَن عاش السلام ما بينه

[1] سورة البقرة/آية/٧١.

وبين اللهﷻ، لابدَّ أن يعيش الإنسان السلام ما بينه وبين ذلك الآخر، سواءاً كان الآخر هو الأعلى الذي هو الإنسان، أو كان الأقل الذي هو الحيوان.

فمن يعيش السلام مع اللهﷻ لابدَّ أن يعيش مع الإنسان السلام، ومن الواضح أنَّ أعلى درجات السلام هو الاستسلام للهﷻ، وهكذا يصف القرآن الكريم هذه البقرة وكذلك بقية الحيوانات.

الأمر الثاني: الذي لابدَّ أن نقف عليه، وكأنَّ هناك كرامة للحيوان عند اللهﷻ، ولهذا نرى أنَّ بعض المعاجز الإلهية هي كانت لحيوانات ومنها هذه البقرة، إذن هي آية أقل ما يقال عنها: أنَّها آية من آيات اللهﷻ، معجزة من معاجز اللهﷻ، وهذا واضح في البقرة، وواضح في نقل القرآن لقصة ناقة صالحعليه السلام، وواضح في الطير الذي كان مع سليمانعليه السلام.

هنا لابدَّ أن نُوضِّح أنَّ مفاهيم الوحي لها عدَّة صُوَر، فالوحي بمعنى المَلَك، لا ينزل إلاَّ على نبيٍّ ورسول، ولكن للوحي عدَّة صُوَر وعدَّة درجات وعدَّة منازل، فكان هذا الطائر هو رسول سليمانعليه السلام إلى مَلِكة سبأ.

بعد ذلك نرى كيف أنَّ اللهﷻ جعل النملة التي هي من أصغر الحيوانات معجزة من معاجز الله، وكيف أنَّها تحدَّثت وقالت:-

﴿....ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ

﴿يَشْعُرُونَ﴾[١]

كلُّ ذلك من أجل أن يلفت نظر الإنسان على ضرورة الرأفة والرحمة بالحيوان، على ضرورة التعامل مع الحيوان بسلام، ولهذا نرى من رحمة اللهﷻ ورأفته، جعل سُوَراً من القرآن باسم حيوانات، لأنَّها تعبِّر (تلك الحيوانات) عن معاجز إلهية، ولهذا نرى: سورة البقرة، سورة الأنعام، سورة النحل، سورة النمل ونرى سورة العنكبوت، (على تقدير أنَّ العنكبوت من الحيوانات)، ونرى سورة الفيل.

كلُّ ذلك يعني: التكريم الإلهي، الرحمة، الرأفة، ولفت نظر الإنسان إلى ضرورة الرأفة والرحمة بالحيوان، وأن يعيش معه بسلام.

كذلك من الصور القرآنية الرائعة التي تعطينا أهمية الحيوان، وتكريم اللهﷻ للحيوان، نرى في سورة الكهف: إنَّ اللهﷻ جعل الحيوان عبرة للإنسان، لأنَّ الذي حصل بالنسبة للفتية الذين آمنوا بربِّهم وزدناهم هدى، كان معهم وكما يُعبِّر القرآن الكريم:-

﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[٢]

وهناك آية مباركة تقول:-

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[٣]

---

[١] سورة النمل/آية/١٨.

[٢] سورة الكهف/آية/١٨.

[٣] سورة يوسف/آية/١١١.

إذن، كما جعل الله ﷻ هؤلاء الفتية (الذين آمنوا بربِّهم عبرة للأمم) عبرة في كلِّ زمان وفي كلِّ مكان، جعل هذا الحيوان الوفي (الكلب) كذلك عبرة لكلِّ الأمم وفي كلِّ الأزمنة والأمكنة وفي كلِّ المجتمعات، وهل هناك رحمة ورأفة أكبر من هذا للحيوان، وهل هناك التفات ومنزلة أكثر من هذه للحيوان.

لهذا، فمسألة السلام مع الحيوان مسألة أساسية، فالذي لا يعيش السلام مع الحيوان، يعني: عنده نقص في الرحمة، يعني: أنَّ هذا الإنسان ميال للظلم.. ولرحمة الإسلام بالحيوان، نرى أنَّ هناك الكثير من الأحاديث والروايات تأمر الإنسان بأن يتعلَّم من الحيوان، وعلى سبيل المثال:-

﴿تعلموا من الديك خمس خصال: (منها) محافظته على أوقات الصلاة....﴾

وحديث:-

﴿تعلموا من الكلب الوفاء﴾

وحديث:-

﴿تعلموا من الحمار الصبر﴾

وجعل استعمال الحصان من الأمور المستحبَّة (الفروسية) كلُّ ذلك زيادة في لَفْت نظر الإنسان إلى ضرورة تكريم الحيوان، وضرورة أن يعيش وأن يتعايش معه بسلام.

الفصل الرابع

المبحث الرابع

رحلة السلام.. رحلة الحياة

رِحْلَة السلام.. رِحْلَة الحياة

بدأنا برحلة السلام ولا ننتهي منها، ما دامت الحياة مستمرة، فدائماً السلام لابدَّ أن يكون قريناً للحياة، تلك هي الإرادة الإلهية، وتلك هي إرادة الإنسان وكلِّ إنسان.

السلام.. إرادة إلهية

الإرادة الإلهية أرادت أن تعيش البشرية في سلام، ومن أوضح مصاديق العيش بسلام هو: تعامل أحدهما مع الآخر (بما بيَّنَّاه من أخلاق إلهية إيمانية وإنسانية قيمية) فالدعوة الإلهية للبشرية ككلٍّ واضحة من قوله تعالى:-

﴿وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]

لكنَّ الإرادة الإلهية شاءت حكمتها: أنَّ الإنسان لابدَّ أن يقتنع بالسلام، ولهذا نُؤكِّد أنَّ الدعوة الإلهية مستمرة، ولكن هناك مَن يشاء الدخول إلى هذه الدعوة الإلهية، وهناك مَن لم يشأ الدخول إلى هذه الدعوة الإلهية.

والإشاءة تأتي بمقدار ما يحمل الإنسان من إيمان بالله ﷻ

---

[1] سورة يونس/آية/٢٥.

وبالقِيَم الإلهية، وإيمان بالإنسان والقِيَم الإنسانية، ودائماً الإيمان باللهﷻ، والإيمان بالإنسان يأتي نتيجة تعلُّم الإنسان وثقافته، فمَن يتعلَّم يؤمن، مَن يتثقَّف يؤمن باللهﷻ أولاً، وبالإنسان ثانياً، ومَن لا يتعلَّم ولا يتثقَّف، يكن بعيداً عن الإيمان باللهﷻ والإيمان بالإنسان.

ممكن أن يكون مؤمناً شكلياً وصورياً وتقليدياً، ممكن أن يكون مؤمناً وراثة، ولكن هذا الإيمان الشكلي التقليدي الصوري الوراثي، لا يمكن أن يكون إيماناً منبعثاً من الداخل، ولهذا لا يمكن أن يكون إيماناً عملياً.

أمَّا الذي يؤمن باللهﷻ، ويؤمن بالإنسان، يكون حامل رسالة، وحامل الرسالة يتحمَّل من أجل رسالته، يبذل جهده من أجل رسالته.

المطلوب الإلهي من كلِّ البشرية: أن تحمل رسالة السلام، ونقصد بحَمْلها: الحَمْل العملي وليس الحَمْل النظري.

لهذا فاللهﷻ يدعو إلى دار السلام، ولم يقل أبناء دين معيَّن، أو طائفة معيَّنة، أو قومية معيَّنة، وتبقى الإرادة الخاصَّة للإنسان: إذا شاء أن يستجيب، أو لم يشأ الاستجابة.

لهذا فالدعوة الإلهية للسلام لكلِّ البشرية، وباعتبار أنَّ الإسلام الحبيب رحمة للعالمين، والنَّبيُّ العظيم(صلى الله عليه وآله وسلم) بُعِثَ للناس كافَّة، وكما أنَّ اللهﷻ أراد السلام للبشرية ككلٍّ، أراد السلام للأمَّة المؤمنة، فهو (سبحانه وتعالى) القائل:-

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1]

ومن الجميل أن نذكر: أنَّ الآية الكريمة أكَّدت على أنَّ هناك: إمَّا خطُّ السلام وإمَّا خطُّ الشيطان، فليس هناك خطٌّ وسطي كما يتصوَّر البعض، وليس هناك خطٌّ اثنينية أو ازدواجية.

المطلوب الإلهي من الأُمَّة المؤمنة: أن تدخل كاملة في السلام، وتحمل ثقافة السَّلْم والسلام قولاً وعملاً (**ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً**).. ومفاد الآية الكريمة: إن لم تدخلوا في السِّلْم، فستكونوا من أتباع خطوات الشيطان.

النفس المطمئنة.. تَبني السلام

بالتأكيدَّ أنَّ السِّلْم والسلام يبدأ من حَمْل الإنسان له مع نفسه، يعني: لابدَّ أن يعيش السلام مع نفسه، أن يعيش السلام في داخله، هذا السلام والسِّلْم والذي يُعبِّر عنه القرآن الكريم بكلمة (اطمئنان)، وأنَّ الإنسان المؤمن دائماً يكون مطمئناً في داخله، لأنَّه يعيش درجة من درجات الوضوح ما بينه وبين نفسه، وبمقدار ما يعيش درجات الوضوح ما بينه وبين نفسه، سيتمكَّن أن يُجسِّد درجات الوضوح ما بينه وبين الآخرين، وأول مراتب السلام مع الآخر هي: أن يكون الإنسان واضحاً مع الآخر، تماماً ليس بالضرورة أن يكون

---

[1] سورة البقرة/آية/٢٠٨.

الآخر متجاوباً معه، ولكن يقوم بما هو عليه.

وعندما يبدأ الإنسان السلام مع نفسه، ويشعر بضرورة وأهمية السلام مع نفسه، ومنه يُخرِج السلام إلى الآخرين، ثمَّ من النفس التي آمنت بالسلام، وعملت بالسلام، ودعت إلى السلام العملي مع الآخر، وبالتأكيد عندما نقول: الآخر يعني الإنسان الآخر، باعتبار أنَّه أشرف ما في الكون، باعتبار أنَّ الإنسان هو خليفة ربِّ العالمين، باعتبار أنَّ الإنسان هو الذي يحمل القِيَم والمبادئ، ولديه طاقات وقابليات وقدرات غير موجودة عند بقية المخلوقات، وباعتبار أنَّ الإنسان هو الذي يتمكَّن أن يؤمن بالسلام، وأن يعمل من أجل السلام، ويتبنَّى السلام، ولولا هذه القدرة لما كانت الدعوة الإلهية العامة للبشرية، والدعوة الإلهية إلى المؤمنين بشكل خاص.

لهذا عندما يحمل الإنسان رسالة السلام مع نفسه، ثمَّ يُخرِج هذه الرسالة مع الآخر، يحملها ليس شعاراً، وإنَّما يحملها قولاً وعملاً، وسلوكاً ومنهجاً للحياة (وقد تحدَّثنا وذكرنا هذا الجانب فيما سبق من بحوث).

وبعدها ينطلق الإنسان في عملية السلام مع مطلق الحيوان، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك، وذَكَرَ كيف أنَّ الحيوان يُعتبر من نِعَم الله ﷻ، وكيف أنَّه لابدَّ أن يُراعى وتُحفَظ له حقوقه، ويُذكِّر القرآن الكريم بحاجة الإنسان إلى الحيوان وبشكل دائم، مُؤكِّداً ضرورة

التعامل معه بسِلْم وسلام ورحمة.

ومن السلام مع الحيوان إلى السلام مع النبات، وأهمية النبات، وقيمة النبات، وكرامة النبات، وما يعطينا النبات من ثمرات، وبالتأكيد أنَّ كلَّ ما ذكرناه هو من خَلْق الله ﷻ وهو ممَّن يُسبِّح لله ﷻ.

وبعد التأكيد على هذه الأمور والخصوصيات والمصاديق، نرى أنَّ القرآن الكريم يُؤكِّد على ضرورة وأهمية السلام مع الكون، ليس فقط المصاديق الخاصَّة، كالإنسان وإن كان هو أشرف ما في الكون، وخليفة الله ﷻ في الأرض، والحيوان باعتبار ما يحمل من حياة، والنبات باعتبار ما يحمل من نَفَس، ولكن أيضاً يريد السلام مع الكون، فهناك نوع من السلام تكويني، وذلك ما جعله الله ﷻ في الكون وفي مفردات وأجزاء الكون، هذا السلام والذي وضَّحنا معناه بالاستسلام لله ﷻ، فأجزاء الكون ومفرداته لا يمكن إلاَّ أن تستسلم لله ﷻ، فهذا سلام تكويني.

مثلاً: القمر ليس له إلاَّ أن يسير في مداره، ويسير حسب المشيئة الإلهية، إلى أن ينتهي ويكون كالعُرجون القديم.. والشمس تشرق من المشرق، وتغرب من المغرب، إذن، شروق الشمس وغروبها ليس بيدها، وإنَّما هي بإرادة إلهية، يعني: استسلامها لله ﷻ تكوينياً.. وهكذا بالنسبة للأرض.. وهكذا بالنسبة للماء.

فالله ﷻ جعل الكون بما فيه من أجزاء مستسلم إليه، وهذا

الاستسلام لله ﷻ قد جعل سلاماً ما بين أجزاء الكون لأنَّها بيد حكيم، فلا الشمس تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكلٌّ في فلك يسبحون، حسب الإرادة الإلهية، وحسب الحكمة الربَّانية، فالسلام التكويني الذي جعله بالكون، جعل أجزاء الكون متسالمة فيما بعضها وفيما بينها.

الإنسان والكون.. انسجام وسلام

بعد هذه المقدمة الوجيزة للسلام في أجزاء الكون، نسأل:

أولاً: لِمَن خُلِقَ الكون؟!..

الجواب: خُلِقَ الكون للإنسان، والذي يدلُّ على ذلك أحاديث قدسية كثيرة منها:-

الحديث القدسي الذي يُسمَّى بحديث الكساء، والذي كان فيه تحت الكساء النَّبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وعليٌّ وفاطمة الزهراء والحسن والحسين(عليهم السلام)، اجتمعوا تحت الكساء بالقصة المشهورة، ولكن كان ختام هذه الجلسة أن نزل على النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم) الوحي بقوله (تعالى):-

﴿.....إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]

والحديث القدسي عن الله ﷻ:-

---

[1] سورة الأحزاب/آية/٣٣.

﴿يا ملائكتي ويا سكان سماواتي إنِّي ماخلقتُ سماءاً مبنية ولا أرضاً مدحيةً ولاقمراً منيراً ولا شمساً مضيئةً ولا فلكاً يدور ولا بحراً يجري ولا فلكاً يسري إلاَّ في محبّة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء.

فقال الأمين جبرائيل: يا ربِّ، ومن تحت الكساء؟..

فقال (عزَّ وجلّ): هم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها.

فقال جبرائيل: يا ربِّ، أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون معهم سادساً؟..

قال الله: نعم قد أذنتُ لك﴾[1]

ومنها أيضاً الحديث القدسي:-

﴿كنتُ كنزاً مخفيّاً فأحببتُ أن أُعرَف فخلقتُ الخَلْق لأُعرَف﴾[2]

من الواضح بأنَّه لا يمكِن خَلْق الخَلْق من دون وعاء له، الذي هو الكون، ولا يمكن خَلْق الخَلْق من دون ما يحتاجونه والذي هو ما في هذا الكون، ولهذا عندما جعل الله ﷻ السلام بين مصاديق وأفراد الكون، وأثمن وأغلى ما في الكون هو: الإنسان والذي من أجله خُلِقَ الكون.. المطلوب الإلهي من الإنسان:

أن يحمل ثقافة ومبدأ السلام مع كلِّ مفردات وأجزاء الكون،

---

[1] الأربعين في حبِّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)/الحاج سعيد أبو معاش/ج٣/ص٣٥٧.

[2] الكشف الوافي في شرح أصول الكافي/محمد هادي الشيرازي/ج٣/ص٤٥٣.

وذلك لأمور:

الأمر الأول: أنَّها وُجِدت من أجل الإنسان، فليس من الصحيح ولا المعقول أن يُعاديَها.

الأمر الثاني: أنَّها حقٌّ عام وليست للإنسان وحده، حتَّى يتمكَّن أن يتصرَّف بها كيف يشاء.

الأمر الثالث: أنَّ عدم السلام مع الكون يكون مِصداقاً من مصاديق الإفساد في الأرض.

الأمر الرابع: أنَّ مسألة مفردات الكون إرادة إلهية، والذي لا يتعامل بسلام مع الإرادة الإلهية، وكأنَّه لا يتعامل بسلام مع السلام نفسه الذي هو الله ﷻ.

الأمر الخامس: أنَّ بعض مُفردات الكون والوجود لها علاقة بالتاريخ، وليس هناك أيُّ حقٍّ لأيِّ إنسانٍ أن يتلاعبَ ويُغيِّر التاريخ، ولهذا فالقرآن الكريم دائماً يُؤكِّد على أهمية وضرورة التاريخ عندما يُنبِّه البشرية إلى الالتفات والنظر إلى مساكن مَن كان قبلهم، وهذا تاريخ.

الأمر السادس: أنَّ الثروات الطبيعية هي مُفردة من مُفردات الكون، والثروات الطبيعية هي ليست خاصَّة لأحدٍ، وإنَّما هي للصالح العام، ومن أهمِّ الثروات الطبيعية التي تتوقَّف عليها الحياة: الماء والهواء، ولهذا ليس لأحدٍ حقٌّ في أن يتعامل بسوء مع الماء، أو يتعامل بسوء مع الهواء.

يمكن مؤخراً سُنَّت بعض القوانين التي تحظُر وتُحذِّر من الإساءة إلى الأماكن الأثرية والتأريخية، والإساءة إلى المياه، والإساءة إلى البيئة، ولكن الحكمة الإلهية والإرادة الإلهية والمنهج الإلهي أرادوا ذلك عندما خَلَق اللهﷻ الإنسان وعندما أنزل عليه الشرائع، والتي كان خاتمتها: الإسلام الحبيب.

إذن، السلام مع الكون لابدَّ أن يقوم على هاتين الركيزتين:

الركيزة الأولى: لأنَّ الكون هو متسالم ما بين أجزائه، مستسلم للهﷻ.

الركيزة الثانية: أهمُّ أجزاء الكون الذي هو الإنسان، فلابدَّ أن يتعامل بسلام مع مفردات الكون وأجزاء هذا الكون، وبمقدار ما يُحقِّق الإنسان من سلام مع الكون، سيُحقِّق له الكون ضمن المشيئة الإلهية الخيرات الأكثر، والثمرات الأفضل والأطيب، والنتائج الأتمّ.

الرسالات السماوية.. وحدانية وسلام

عندما كان الإنسان في جاهلية (ودائماً نؤكِّد أنَّ الجاهلية ليس لها زمن معيَّن، وإنَّما هي مستوى ثقافي) كان يتعامل بسلام مع بعض أجزاء الكون، ويتعامل بعكسه مع أجزاء أخرى من الكون، وإلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة:-

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ

طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[١]

(أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ) هؤلاء في زمن الثقافة الجاهلية والتي يمكن أن تكون في كلِّ زمان وفي كلِّ مكان، **(وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا)** وهذا السلام التكويني، أي كلُّ مفردات الكون أسلمت لله ﷻ، يعني: أنَّها مستسلمة للأمر الإلهي، المطلوب من الإنسان كمُفردة في هذا الكون: أن يكون جزءاً من هذا الاستسلام.

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٢]

والإسلام هو الاسْم الذي أطلقه إبراهيم الخليل أبو الأنبياء عليهم السلام على الرسالات السماوية وأبنائهم.

هنا تُؤكِّد الآية التي بعدها:-

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٣]

إنَّ السلام هو جزء لا يتجزَّأ من الإيمان بالله ﷻ، وإنَّ الاستسلام لله والسلام هو رسالة كلِّ الديانات السماوية، وإنَّ

---

[١] سورة آل عمران/آية/٨٣.

[٢] سورة آل عمران/آية/٨٤.

[٣] سورة آل عمران/آية/٨٥.

للاستسلام لله والسلام هو رسالة كلِّ الأنبياء وكلِّ المصلحين وكلِّ الذين عملوا من أجل الصالح العام، ومن أجل صالح شعوبهم.

(قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا) من أهمية وضرورة الاستسلام والسلام والسِّلْم، **(وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)** مستسلمون، حاملون للسِّلْم مع أنفسنا، مع خالقنا، مع الإنسان الآخر، مع الكون وما فيه.

وهكذا نرى، بعد أن ذكرت الآية الكريمة الكثير من الأنبياء، وبعضهم من أصحاب الكتب السماوية، وما يحملون من رسالة السلام، تُؤكِّد الآية التي بعدها على أنَّ الإسلام جاء بالاستسلام لله ﷻ، ككلَّ الديانات والرسالات السماوية الأخرى التي جاءت بالاستسلام لله ﷻ.

وهذا هو مفاد الآية الكريمة:-

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]

بمعنى: مَن يبتغِ غير الإسلام وهو الاستسلام لله ﷻ منهجاً وديناً وسلوكاً، يكُن في الآخرة من الخاسرين.

مراحل.. تحقيق السلام الإلهي

بعد ذلك، المطلوب الإلهي من البشرية ككلٍّ، ومن الأمَّة

---

[1] سورة آل عمران/آية/٨٥.

المؤمنة بشكل خاص:

العمل من أجل تطوير السلام، فبداية السلام هو: ألاَّ عدوان، ومن ثمَّ لابدَّ من العمل المستمر (ما دامت الحياة باقية للإنسان) من أجل تطوير السلام، والانتقال من مرحلة اللاعداء إلى مرحلة النفع للآخر، والمحبَّة للآخر، والعمل من أجل صالح الآخر.

كأنَّ هذا هو المطلوب في مسيرة الإنسان لحياته، وهذا هو المنهج الذي يجب على الإنسان أن يتتبَّعه في خطواته ما دام في الحياة.

ولهذا تقول الآية الكريمة مخاطبة الذين آمنوا باعتبار أنَّهم الأكثر توجُّهاً للخطاب الإلهي:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]

تقوى الله ﷻ تعني: الالتزام بمنهجه، وأول درجات الالتزام بالمنهج: هو عدم المعصية، وبعد ذلك تنمو هذه الدرجات، والمطلوب أن تتطور هذه الدرجات بمقدار تطور علاقة الإنسان مع الله ﷻ.

ولهذا الآية الكريمة تنادي الأُمَّة المؤمنة:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾

فتَبنِّي مفردة السلام العملية ضمن كلِّ مفردات الحياة

---

[1] سورة آل عمران/آية/١٠٢.

بالتدريج، يعني: تطوير للسلام وتقوية لثقافة السلام، وبذلك يكون أكثر تقوى لله ﷻ، لأنَّه أكثر امتثالاً للمنهج الإلهي ولخُلُق السماء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

على الإنسان أن يُطبِّق التقوى بمقدار ما يعرف، ولكن لابدَّ أن يكون الهدف: (**حَقَّ تُقَاتِهِ**)، يعني: يكون الهدف بمقدار ما يستحقُّه الله تعالى من التقوى، وبما أنَّ الإنسان لا يتمكَّن أن يتَّقي الله ﷻ بمقدار ما يستحقُّه، وكما تُعبِّر الآية الكريمة (**حَقَّ تُقَاتِهِ**)، إذن يبقى يعمل وينمو ويتطور، ويعمل من أجل علاقة السلام ما بينه وربِّ العالمين، وعلاقة السلام ما بينه وبين الكون وما فيه (**حَقَّ تُقَاتِهِ**) وهذه تبقى مستمرة، إلى أن يلقى ربَّه.

ولهذا تقول الآية:-

﴿وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

يعني: مستسلمون لله ﷻ، على ذِمَّة الإسلام، والذي يستسلم لله ﷻ، يستسلم مع ما خَلَق الله ﷻ، والذي يبدأ بالإنسان وينتهي بكلِّ مفردات الكون.

لهذا، السلام يحتاج إلى صبر: صبر الإنسان في داخله، وصبر الإنسان مع الآخر.

ولهذا الآية الكريمة تقول:-

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا

﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[١]

دائماً يحتاج الإنسان إلى صبر وإلى إرادة، حتَّى يتمكَّن من أن يترجم السلام في منهجه، وفي حياته، وفي سلوكه مع نفسه، ومع الآخر وكلِّ الآخر..

بمقدار ما نُحقِّق السلام، ونعمل من أجل تنميته وتطويره، نكون أكثر تقوى لله ﷻ، ونكون ممَّن تذكرنا أيام الله ﷻ، والله ﷻ يقول:-

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[١]

يعني: ذكِّرهم بأيام الله ﷻ، بأيام المنهج الإلهي، بأيام الشريعة الإلهية، بأيام الإنسان وحقوق الإنسان وكرامة الإنسان، ونكون أقرب للسلام وأبعد عن الخلاف.

وقد ذكرنا في تفسيرنا (البيان والتبيان في تفسير وتنزيل القرآن)/ج٢٣/ص٢١٢ ضمن فصل التفسير المسترسل:-

((﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ المعجزات التسع ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ والإيمان ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ بنعمة الله وبلائه في الأيام العظام ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التذكير

---

[١] سورة الأعراف/آية/١٢٦.

[٢] سورة إبراهيم/آية/٥.

﴿لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على بلائه ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمائه)) (انتهى).

كما وَرَد في تفسير القرطبي/د١١/ص١٠ ما يلي:-

((لمَّا ظهر موسى وقومه على أرض مصر أنزل قومه مصراً، فلمَّا استقرب بهم الدار، أمره الله أنْ: ﴿ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾، فخطب قومه فذكَّرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة إذ نجَّاهم من آل فرعون، وأهلك عدوَّهم، واستخلفهم في الأرض)) (انتهى).

خلاصة الفصل الرابع

١-إنَّ الله تَعَالَى أعطى منزلة رفيعة للإنسان، فجعله أكرم مخلوقاته، وقد أطلق سُبْحَانَهُ هذه المنزلة الرفيعة على كلِّ إنسان دون النظر إلى الدين أو المذهب أو القومية.

٢-الإسلام المجيد يؤكِّد على إشاعة روح الأُخوَّة بين البشر ويحثُّهم على التعاون والتعايُش السلمي وتعميم روح الأُخوَّة والمَحبَّة والسلام.

٣-يعلِّمنا الإسلام العزيز أن نتحلَّى بالصبر عندما نُقدِّم نُصحنا الإيماني للآخرين، وأن لا نيأس من صدود المُعانِدين، لأنَّ هذا الأمر طبيعي في حياة الإنسان، وهذا ما واجهه الأنبياء والرُّسُل والمُصلِحون على مرِّ التاريخ.

٤-النفس البشرية المؤمنة بالله تعالى تكون نفس خيِّرة، نفس مِعطاءة تمنح الخير والمَحبَّة للجميع.

٥-عندما نتحاور مع أبناء الديانات الأخرى على الإنسان المسلم أن يُناقشهم بموضوعية تامَّة وبرحابة صدر مع كلِّ الاحترام لعقيدة الآخر.

٦-هناك علاقة وثيقة بين العلم والإيمان، بين الثقافة

والإيمان، فكلّما كان الإنسان متعلِّما ومثقفاً، فإنَّه يكون بمنزلة إيمانيةٍ أعلى من الجاهل، فالعلم نورٌ والجهلُ ظلام.

٧-مطلوب من الإنسان أن يُطوِّر نفسه وأن يُثقّف نفسه وأن يتعلَّم ثقافة السلام والمَحبَّة والتعاون المنصهرة في بَوتَقة الإنسانية التي تُشكِّل العنوان الأكبر والأشمل الذي يحتوي الجميع.

٨-لقد شاءت الإرادة الإلهية أن تجعل الإنسان مختاراً لأفكاره ولتصوراته وعلى الإنسان أن يُطوِّر معارفه لِما فيه الخير والصلاح، وأنَّ اختياره لمنهج السلام والمَودَّة هو مفتاح الخير والسعادة للفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء.

٩-لقد شاءت إرادة الله تعالى أن تسير جميع مفردات الكون بكلِّ عناصرها وأجزائها بمسيرة السلام والتناغم والتفاعل، فليس من حقِّ أحدٍ أن يُغيِّر هذه السُّنن الإلهية الكونية، ذلك من أجل حفظ حياة الإنسان وحياة المخلوقات كافَّة، وحتى الحفاظ على الجمادات لأنَّها جزء من الكون.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
الفصل الأول	٩
المبحث الأول	١١
احتياج السلام.. إلى الهدى	١٣
الأنا والشيطان.. يُهوِّلان السلام	١٣
السلام.. ما بين الاقتناع والهداية	١٥
عدل ومساواة.. يعني: سلام	١٧
المبحث الثاني	٢١
طريق السلام.. يضيئه هدى الله	٢٣
للسلام.. صور	٢٨
هل السلام.. مع الذين أعرفهم فقط؟..	٢٨
المبحث الثالث	٣١
مبحث تفسيري	٣٣
سلامك.. يقره كلامك	٣٨
المبحث الرابع	٤١
بعقائد مختلفة.. ويظلنا السلام	٤٣
المسالمون.. موضوعيون	٤٦
من صور السلام: الاستقامة	٤٧
المبحث الخامس	٥١

مجتمعات.. السلام	٥٣
خلاصة الفصل الأول	٥٧
الفصل الثاني	٥٩
المبحث الأول	٦١
العمل الصالح.. مصداق لسلامة اللسان	٦٣
كيف يُفسِد الشيطان.. السلام؟!...	٦٥
من صور السلام: التعامل مع المجتمع بواقعية	٦٨
السلام للناس.. لا للملائكة	٦٩
المبحث الثاني	٧٥
منهج القرآن.. في تحقيق السلام	٧٧
مثل قرآني.. لتحقيق السلام	٧٩
الرحمة.. منبع السلام	٨١
أيهما أسبق.. السلام أم الرحمة؟!..	٨٢
ذاتي أكبر.. أم رحمتي؟!..	٨٤
المبحث الثالث	٨٧
قدوات.. السلام	٨٩
متى.. أقبل دعوة السِّلم؟!..	٩٠
مبحث تفسيري	٩٢
المبحث الرابع	٩٧
عباد الرحمن.. عباد السلام	٩٩
العبودية لله ﷻ.. منطلق السلام	١٠٠
عندما تنعم الأرض.. بالسلام	١٠٤
إنسان السلام.. على أرض السلام	١٠٦

خلاصة الفصل الثاني	١١١
الفصل الثالث	١١٣
المبحث الأول	١١٥
ما بين.. السلام والعفو	١١٧
هل اهتمَّ الإسلام.. بالسلام؟!..	١١٧
من صور السلام: إهمال اللغو	١١٨
العاقل.. والسلام	١٢١
خطر الجهل.. على السلام	١٢٣
السلام.. مع كل أنواع الجهل	١٢٤
المبحث الثاني	١٢٧
السلام.. والهدفية	١٢٩
انتشار السلام.. بالهدفية الصادقة	١٢٩
حتى اللغو.. يُعالجه السلام	١٣٢
سلام.. للعيش مع الجاهلين	١٣٥
فكرة.. خاطئة	١٣٧
للسلام.. خطة قرآنية	١٣٨
المبحث الثالث	١٤٣
السلام.. نزهة الحياة	١٤٥
السلام.. عقيدة وعمل	١٤٥
إحباط.. لكنَّه دفعة معنوية	١٤٦
المتهيئون.. للسلام	١٤٩
مبحث تفسيري	١٥١
التكبر.. يهدم السلام	١٥٦

القلب السليم.. يشع سلاماً	١٥٨
خلاصة الفصل الثالث	١٦١
الفصل الرابع	١٦٥
المبحث الأول	١٦٧
أبناء الديانات السماوية والسلام معهم	١٦٩
الأخوة.. أنواع	١٧١
ما بين.. بني الإنسان وأهل الإيمان	١٧٢
كل دين.. هو إسلام لله	١٧٣
المبحث الثاني	١٧٩
سمات.. أبناء الديانات السماوية	١٨١
نحو.. سلام شامل	١٨٦
المبحث الثالث	١٩١
لمفردات الكون نصيبها من السلام	١٩٣
حتى الحيوان.. يأمل منا السلام	١٩٤
دور الحيوان.. في حياة الإنسان	١٩٦
ما أسباب الرأفة.. بالحيوان؟..	٢٠٠
للحيوان.. قصص قرآنية	٢٠٣
المبحث الرابع	٢٠٧
رحلة السلام.. رحلة الحياة	٢٠٩
السلام.. إرادة إلهية	٢٠٩
النفس المطمئنة.. تبني السلام	٢١١
الإنسان والكون.. إنسجام وسلام	٢١٤
الرسالات السماوية.. وحدانية وسلام	٢١٧

مراحل.. تحقيق السلم الإلهي	٢١٩
خلاصة الفصل الرابع	٢٢٥
الفهرس	٢٢٧

سلسلة كتب ومؤلَّفات سماحة المَرجِع الديني آية الله الفقيه السيِّد حُسين الصدر (دام ظلُّه)، فيما يخصُّ مفاهيم السلام والتعايُش السِّلمي والمواطَنة الصالحة في إطار العراق الواحد المُوحَّد.